إصدارات معهد العلم والعمل (بالوحي نحيا)

مشروع القرآن علم وعمل

الإطار المفاهيمي

الهروب من الفهم

الأوهام التي تحول دون فهم القرآن

إعداد: د. شريف طه يونس

يمكنكم التواصل معنا عبر:

- **خدمة بالوحي نحيا على الواتس آب (٠٠٢٠١١١٤١١٦٧٦٠)**
- **قناتنا علي التليجرام (بالوحي نحيا).**
- **صفحتنا علي الفيس بوك (بالوحي نحيا).**
- **حسابنا علي الساوند كلاود (بالوحي نحيا).**
- **قناتنا علي اليوتيوب (بالوحي نحيا).**
- **منتدانا على جوجل بلس (بالوحي نحيا).**



نبض الكتاب

يحلو لي أن أبدأ حديثي إلى حضراتكم ببعض العبارات التي بدأ بها الأنبياء حديثهم مع أقوامهم؛ وقد أَمَرَنا الله بالاقتداء بهم {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}:

***أولا:** {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ}؛ فحرصي على ما ينفعكم، وخوفي عليكم مما يضركم قد حملني على أن أنبهكم.

***ثانيا:** {إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ}؛ بل أرى أن قلامة ظفر أحدكم خير من ملء الأرض من أمثالي؛ وأريد لكم ما هو أكمل.

***ثالثا:** {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ}؛ وأرغب في تتميم البناء، والارتقاء معكم نحو العلياء.

***رابعا:** {لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا}؛ فلا نتقاضى – بفضل الله – على القرآن فلسا واحدا؛ ووالله الذي لا إله إلا هو لا نريد منكم جزاء ولا شكورا؛ المسألة باختصار: أننا فعلا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، ونسأل الله أن يقينا وإياكم شر ذلك اليوم وأن يجعلنا ممن لَقَّاهم نضرة وسرورا.

***خامسا:** إنما مَثَلي ومَثَلُكُم، **كذلك الرجل المحب الناصح لموسى ﷺ**: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢٠، ٢١].

موسى ﷺ خير من الرجل؛ **وكذلك أنتم خير مني. لكن ذلك لم يمنع موسى ﷺ من الاستجابة لنصحه** (فخرج)؛ ولم يقل كيف يقول لي: (ياموسى)، وكيف يقول لي: (اخرج) هكذا بدون ألقاب، أو عبارات ثناء وإعجاب.

☜ سر العنوان:

قال لي: **عَمَّ يتحدث** هذا الكتاب ذو العنوان العجيب؟

قُلتُ له: هذا الكتاب يتحدث عن أمر أعجب من عنوانه، إنه يتحدث عن **هروب** يعتبر تقريبا **أكبر وأخطر** هروب في حياة الإنسان.

فلقد اعتدنا أن نسمع أن الإنسان حين يهرب، يكون هروبه من شيء يضره، **لكن المفاجأة** أن الهروب الذي نتحدث عنه هنا هو هروب من شيء ينفع الإنسان، **والمفاجأة الأكبر** أنه هروبٌ من شيء هو من أنفع الأشياء للإنسان إن لم يكن أنفعها. إنه هروب عجيب! هروبٌ حقا غريب! إنه **(هروبٌ من الفهم)**.

فقال لي مندهشا: ما هذا الذي تقول! هل هناك من يهرب من الفهم، **الناس إنما تهرب من الجهل،** إنما تهرب من عدم الفهم. ولربما يهرب الناس من فهم أشياء قد يضرهم أو يؤذيهم أو يحزنهم فهمها.

قلتُ له: عندك حق، قد يهرب الناس فعلا من فهم أشياء قد يضرهم أو لايسرهم أن يفهموها، لكن الهروب الذي أتحدث عنه هنا ليس من هذا النوع، **بل على العكس،** ذاك الذي هربوا من فهمه، يستجلب لهم فهمه السعادة والهدى والريادة، ويعصمهم من الضلال والشقاء، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من الحزن والقلق إلى السكينة والسرور.

فكادت موجات الدهشة والاستغراب تقفز من عينيه؛ وهو يقول: **ما هذا الشيء الرائع الذي يهربون من فهمه؟**

فقلتُ له متحسرا: إنهم يهربون من **فهم كلام الله، ورسالته إليهم**.

فقال لي: سامحني! **أظن أنك تُبَالِغ**، أين ذاك الذي تتحدث عنه؟ إن الناس يعتنون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه.

فقلتُ له: هذا ما أزعمه أنا، وأرى أنه يحصل (أن الكثير من المسلمين يهربون من فهم كلام الملك العلام، وقد حال بينهم وبين الفهم كثيرٌ من الأوهام).

فقال لي: كيف حصل ذلك؟ ولماذا حصل؟ **وما هي تلك الأوهام؟**

فقلتُ له: هذا ما لأجله كان ذلك الكتاب؛ لعلنا نتمكن من **تبديد تلك الأوهام، وتحجيم موجات ذلك الهروب الرهيب.**

وأوهام الهروب تلك؛ هي ما ستتعرف عليه ونناقشه بالتفصيل في هذا الكتاب إن شاء الله، فتابع معي ما جاء فيه؛ **فلربما كُنْتَ من أولئك الواهمين الهاربين وأنت لا تدري**، ولعلك تجد فيه ما يعينك على أن **تتوقف وتُوقِف غيرك** عن هذا الهروب الكبير والخطير.

إحساس رهيب! ذاك الذي يجده مَن يرى أمام عينيه أحد أحبابه يتلوى من الألم، ويعاني من الهم والغم، وهو يعرف ما يساعده على إجلاء ذلك الألم تماما، وإذهاب ذلك الهم نهائيا، لكنه لا يستطيع أن يخبره أن دواءه بين يديه، ولا يتمكن من أن يخبره أن سوء استخدامه للدواء هو السبب فيما هو فيه.

أتدرون لماذا لا يستطيع إخباره؟

لأن ذلك الذي يعاني من الهموم والآلام، يعاني من جملة من الأوهام، هي أبشع من كل آلامه وهمومه. أوهام جعلته **يسيء استخدام الدواء**، ويزعم أن ذلك هو **أقصى ما يمكنه عمله** لتحصيل الشفاء.

أتعرفون مَن هو صاحب الإحساس الرهيب؟

إنه أنا صدقا، ويشهد الله أنني صاحب شعور الحزن والوجع ذلك حقا.

فإنني أرى أمام عيني أحبابي وإخواني المسلمين وأخواتي المسلمات، يقاسون الآلام، ويكابدون الهموم، **وأنا أعرف – بل أوقن – أن القرآن هو الذي سيشفيهم،** فَيُجَلِّي عنهم تلك الآلام، ويذهب عنهم تلك الهموم.

لكنهم لا يعرفون أن الشفاء في القرآن، أو يعرفونه ولا يتمكنون من الاستشفاء به. رغم أنهم يتصلون بالقرآن بصورة أو بأخرى تلاوة أو سماعا أو تجويدا أو حفظا؛ لكنهم يتصلون فقط بمبانيه (ألفاظه)، **ويغفلون عن أن الخصائص الشفائية الأساسية للقرآن في معانيه.** فإذا شرعنا في تنبيههم إلى ما هم فيه من سوء استخدام، حالت بينهم وبين الاستشفاء بمعاني القرآن عشرات الأوهام.

أوهام جعلتهم يدورون في فلك المباني، ويهملون المعاني، **بل جعلتهم يباشرون أعجب وأغرب هروب في التاريخ** (الهروب من معاني القرآن تفهما وتدبرا واتباعا).

والأدهى من ذلك أنهم يرون أنهم لا يهربون، وأنه **لا مشكلة في هذا الهروب؛** قال الله: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]

فوا أسفاه على أولئك الهاربين! والهف قلباه على أولئك المتوجعين الواهمين!

ولا تتعجبوا من توجعاتي، ولا تنزعجوا من آهاتي، فقد توجع من قبلي الكثير، ومنهم الشيخ العثيمين رحمه الله، حين قال: "**وما ضر الناس اليوم إلا أنهم لا يفكرون في معرفة معاني القرآن الكريم إلا قليلاً،** فتجد أكثر المسلمين يقرؤون القرآن تعبداً بتلاوته واحتساباً لأجره **لا يتدبرونه ولا يتأملونه ولايسألون عن معناه.** فَهُمْ والأميون على حدٍ سواء؛ قال الله تبارك وتعالى:

(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ)، **فجعل الله تعالى الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي إلا قراءة جعلهم أميين**. فعلى المرء أن **يتدبر معاني كتاب الله وأن يتعظ بما فيها** حتى يكون القرآن حجةً له لا عليه"[1].

وكأني بكم تقولون: ما بالك تبالغ في الأمر مبالغة شديدة؟ آهات، وتوجعات، وحسرات؟!! كلُّ تلك الزوبعة لأننا نُقَصِّر في العناية بالتفسير؟

فأقول: لا والله يا أحبابي، **الأمر أكبر من ذلك بكثير**، قضية العناية بالمعاني ليس قضية التقصير في التفسير، إن المعاني **قنطرة عبور**، من عالم الخوف والحزن إلى عالم الأمن والسرور، ومن الضلال والشقاء والظلمات إلى الهدى والسعادة والنور.

لأن العناية بمعاني كتاب الله هي أقصر الطرق للعصمة من الضلال والشقاء، والنجاة من الخوف والحزن. فقد قال الله: {فَمَنِ **اتَّبَعَ هُدَايَ** فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: ١٢٣، ١٢٤]، وقال تعالى: {فَمَنْ **تَبِعَ هُدَايَ** فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٣٨]

أنا لا أريد مجرد قراءة التفسير، وإنما أريد إفساح المجال، **وتكسير الأقفال**؛ لتباشر معاني القرآن قلوبنا، **فَتُنِيرها وتُحِيِيها**. أريد تَلَقِّي القرآن وقراءته على أنه رسائل من الله إلينا، جاءت **لِتَهْدِينا، وتُحْيينا**، ونحتاج **للتعرف على ما فيها**؛ للاستهداء بها، والاستشفاء بأنوارها.

لقد دعانا الله لتكسير الأقفال؛ لتباشر معاني القرآن القلب، فقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ **أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**} [محمد: ٢٤]

---

[1] فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥/ ٢)

ووصف الله القرآن بأنه **نور وروح**؛ فقال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ **رُوحًا** مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ **نُورًا** نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢]

لقد أَمَرَ الله في **مئات الآيات** بالتعقل والتفكر والتدبر والتذكر والاعتبار والاتعاظ والادكار والازدجار والاتباع والاستمساك والاعتصام وغيرها من واجباتنا تجاه القرآن، **وتلك الأشياء لا تنعقد إلا بالفهم.**

ولقد ذَمَّ رَبُّنا الهاربين من الفهم، الذين يتعاملون **بالغفلة** مع الآيات المسطورة أو المنظورة؛ وأخبر أن ذلك **عنوان هلاكهم**؛ فقال تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ **عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**} [يونس: ٩٢]، وقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا **وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ** (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يونس: ٧، ٨].

وفي تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ **عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**}[١]، قال الطبري: "ساهون، **لا يتفكرون فيها** ولا يعتبرون بها"، وقال القرطبي: "مُعْرِضُونَ عَنْ **تَأَمُّلِ آيَاتِنَا وَالتَّفَكُّرِ فيها**"، وقال السعدي: "تمر عليهم وتتكرر فلا ينتفعون بها، لعدم إقبالهم عليها. وأما مَنْ له **عقل وقلب حاضر**، فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبرت به الرسل"، وقال رشيد رضا: "**وَفِيهِ ذَمٌّ لِلْغَفْلَةِ، وَعَدَمِ التَّفَكُّرِ** فِي أَسْبَابِ الْحَوَادِثِ وَعَوَاقِبِهَا وَاسْتِبَانَةِ سُنَنِ اللهِ فِيهَا، لِلِاعْتِبَارِ وَالِاتِّعَاظِ بِهَا. **وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْقُرْآنِ مِنْهُمْ**".

---

[١] انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٩٨)، تفسير القرطبي (٨/ ٣٨١)، تفسير أبي السعود (٤/ ١٧٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٧٢)، تفسير المنار (١١/ ٣٩٠)

وفي تفسير قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ **عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**}[1]، يقول الحَسَنُ: "وَاللهِّ مَا زَيَّنُوهَا وَلَا رَفَعُوهَا، حَتَّى رَضُوا بِهَا وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ آيَاتِ اللهِّ الْكَوْنِيَّةِ **فَلَا يَتَفَكَّرُونَ** فِيهَا، **وَالشَّرْعِيَّةِ فَلَا يَأْتَمِرُونَ بِهَا**"، ويقول الطبري: "معرضون عنها **لاهون، لا يتأملونها** تأمُّل ناصح لنفسه، فيعلموا بها"، ويقول القرطبي: "لَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ". ويقول السمرقندي: «يعني: عن محمد ﷺ والقرآن معرضون **فلا يؤمنون**. ويقال: تاركين لها ومكذبين بها، ويقال: **لم يتفكروا فيها**».

ويقول السعدي: "**لا ينتفعون بالآيات القرآنية**، ولا بالآيات الأفقية والنفسية".

فلماذا يُصِّر بعض إخواننا الذين كَرَّمهم الله بالتوحيد والسُنَّة على **التشبه بأولئك الهاربين المذمومين الهالكين؟**

وقد أخبر ربنا بأنه يعاقب أولئك الهاربين بأجسادهم أو بأفكارهم من التفهم والتدبر والعمل بأن يَصْرِف قلوبهم؛ لتفريطهم في التعامل مع الكتاب بفقه وفهم، فقال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُّ قُلُوبَهُمْ **بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**} [التوبة: ١٢٧]

قال الطبري: "صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوبَ هؤلاء المنافقين ... من أجل أنهم قوم **لا يفقهون عن الله مواعظه**، استكبارًا، ونفاقا"[2]

وقال القرطبي: "لَمْ يَسْمَعُوا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ سَمَاعَ مَنْ **يَتَدَبَّرُهُ وَيَنْظُرُ فِي آيَاتِهِ**"[3].

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٩)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٥)، تفسير القرطبي (٨/ ٣١٢)، تفسير السمرقندي (٢/ ١٠٥)، تفسير السعدي (ص: ٣٥٨)

[2] تفسير الطبري (١٤/ ٥٨٢)

[3] تفسير القرطبي (٨/ ٢٩٩)

وقال ابن كثير: "{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} أَيْ: لَا يَفْهَمُونَ عَنِ اللهِ خِطَابَهُ، وَلَا يَقْصِدُونَ لِفَهْمِهِ وَلَا يُرِيدُونَهُ"[1].

وقال السعدي: "إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها {نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون: {هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا} متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل {صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} أي: صدها عن الحق وخذلها. {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ} فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها"[2]

ولقد أخبر ربنا أن أولئك الغافلين الذين لا يستعملون ما آتاهم الله من أدوات الفهم والتدبر والاتباع، هم أكثر الخلق ضلالا، وهم أولى الناس بعذاب جهنم؛ فقال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩]

قال ابن عطية: "قلوبهم لا تفقه، والفقه الفهم ... وشبههم بالأنعام في أن الأنعام لا تفقه قلوبهم الأشياء ولا تعقل المقاييس"[3].

قال القرطبي: "{لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِها} بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَفْقَهُ، لِأَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَلَا يَعْقِلُونَ ثَوَابًا وَلَا يَخَافُونَ عقابا ... {أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ} أَيْ تَرَكُوا التَّدَبُّرَ"[1]

---

[1] تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١)

[2] تفسير السعدي (ص: ٣٥٦)

[3] تفسير ابن عطية (٢/ ٤٧٩)

وقال رشيد رضا: "الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْإِيمَانَ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَهُمْ قُلُوبٌ **لَا يَفْقَهُونَ بِهَا مَا ذُكِرَ** ... **وَفَقَاهَةُ الْأَمْرِ تَقْتَضِي الْعَمَلَ بِمُوجِبِهِ** ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يُقَالَ: {لَيْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ بِهَا}؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ خَلْقِ الْقُلُوبِ لَهُمْ، هُوَ مَوْضِعُ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ... لِبَيَانِ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُؤَاخَذُونَ **بِعَدَمِ تَوْجِيهِ إِرَادَتِهِمْ لِفِقْهِ الْأُمُورِ، وَاكْتِنَاهِ الْحَقَائِقِ** ... وَلَهُمْ أَبْصَارٌ وَأَسْمَاعٌ لَا يُوَجِّهُونَهَا إِلَى **التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ** فِيمَا يَرَوْنَ مِنْ آيَاتِ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَفِيمَا يَسْمَعُونَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ، وَمِنْ أَخْبَارِ التَّارِيخِ الدَّالَّةِ عَلَى سُنَنِهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، **فَيَهْتَدُوا** بِكُلٍّ مِنْهَا إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ ... كَرَّرَ الرَّبُّ الْحَكِيمُ بَيَانَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ بِأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ، كَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالِاحْتِجَاجِ، وَبَيَانِ السُّنَنِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ؛ لِأَجْلِ التَّأْثِيرِ وَالتَّذْكِيرِ وَالْإِنْذَارِ، لِمَنْ لَمْ يَفْقِدِ اسْتِعْدَادَ الْهِدَايَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ ؛ **وَلِأَجْلِ الْعِظَةِ وَالذِّكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ... وَمَعَ هَذَا التَّكْرَارِ الْبَالِغِ حَدَّ الْإِعْجَازِ فِي الْبَلَاغَةِ، نَرَى أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ أَشَدَّ إِهْمَالًا مِنْ غَيْرِهِمْ لِاسْتِعْمَالِ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ **فِي النَّظَرِ** فِي آيَاتِ اللهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ ... أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ أَيْ أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِكُلِّ مَا ذَكَرَهُمُ الْغَافِلُونَ التَّامُّو الْغَفْلَةِ عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ فِي الْحَيَاتَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَمِيعًا، أَوْ خَيْرِهِمَا وَأَكْمَلِهَا وَأَدْوَمِهَا وَهِيَ الثَّانِيَةُ، **فَهُمْ طَبَقَاتٌ عَلَى دَرَجَاتٍ فِي الْغَفْلَةِ**، الْغَافِلُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمُ، الْغَافِلُونَ عَنِ **اسْتِعْمَالِ عُقُولِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ فِي أَفْضَلِ مَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى**، الْغَافِلُونَ عَنْ آيَاتِ اللهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ"[2]

---

[1] تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٤)

[2] تفسير المنار (٩/ ٣٥٦)

لذا عقدت العزم على أن **أخوض غمار معركة تبديد تلك الأوهام، وتحجيم ذلك الهروب**؛ **غيرةً** لكلام ربي، **وشفقةً** بإخواني وأخواتي الذين يعانون - وهم لا يشعرون - بسبب تقصيرهم في العناية بمعاني القرآن، **وشكراً** لنعمة ربي علي أن بَصَّرني وانتشلني، فقد كنتُ ذات يوم أحد صرعى تلك الأوهام، ولطالما تَلَظَّيْتُ بذلك الهروب؛ ولا أريد أن أكابده لحظة أخرى ما حَيِيت.

وقد تجدون في كلماتي بعض الشدة، وقد تجدون في عباراتي بعض الحدة، وقد تختلفون معي في بعض الأمور، لكن **إياكم** أن يصرفكم ذلك عما يحمله لكم هذا الكتاب من خير.

اللهم إنك تعلم أنني **إنما أَرَدْتُكَ وحدك** لا شريك لك، وأنني **ما طمعتُ إلا** في غفرانك ورضوانك، وأنني **إنما دَفَعَنِي** لذلك الحب لك والغيرة لكتابك، وأنني **إنما حَرَّكَنِي** الإشفاق على عبادك من الحرمان من فهم كلامك.

اللهم ارزقني **الصدق** فيما أردتُ، **والإخلاص** فيما تمنيتُ. رب اجعل عملي كله **صالحا**، واجعله لوجهك **خالصا**، ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئا.

اللهم بَلِّغني بنيتي وأملي، ما يَقْصُر عن الوصول إليه جهدي وعملي.

اللهم أوصِل كلماتي **لكل إنسان**، وانشر هذا الخير في **كل مكان.**

اللهم **انفع** بهذا الكتاب (كاتبه وقارئه وناشره) واكتب له **القبول**؛ إنك أكرم مأمول وأعظم مسؤول.

{**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ** وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}

صَحِّحِ القاموس

كان ولا يزال من **أجاويد قُرَّائنا**، لطالما أحببتُ أن أصلي خلفه، تبدو عليه دوما مَخَايل الصلاح والإخبات، لكنه فاجأني - وموعظتي تلفظ أنفاسها الأخيرة - **بسؤال أدهشني**.

اسمحوا لي أن أؤجل الحديث عن السؤال الآن، وأن أنتقل بالمشهد عبر حدود الزمان والمكان، فقد كنتُ قد بدأتُ سلسلة دروس في المسجد أسميتها **"رحلة إلى الإمام البخاري"**، وكانت عبارة عن **قراءة تدبرية عملية** لمختصر صحيح البخاري، رجوتُ من خلالها أن أفسح المجال لسنة رسول الله (ﷺ) ليفيض على حياة رُوَّادِ مسجدنا من أنوارها وبركاتها ما يهديهم في دياجير الظلمات، ويبعث الهمم من رقدة الأموات.

فقلتُ لهم: ما رأيكم في أن نرتحل سويا إلى الإمام البخاري نسأله كل يوم عن سنة رسول الله (ﷺ)؟

فَتَحَمَّسَ أهل المسجد للفكرة، وكُنَّا نتعرف يوميا على سنة من سنن الحبيب صلى الله عليه وسلم، ونفهم معناها، ونتفكر فيها، ونسقطها على واقعنا، وفي الأخير نتباحث حول كيفية جعل تلك السنة واقعا عمليا في حياتنا، فنسأل كل واحد من الحاضرين: **ما الذي تنوي فعله الآن بعد معرفة وفهم تلك السنة؟**

وفي يوم من الأيام، قرأنا في صحيح البخاري، هذا الحديث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ... **قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ... فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} قَالَ: جَمْعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ ، وَتَقْرَأَهُ {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا**

بَيَانَهُ) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - كَمَا قَرَأَهُ.

فكان مما قُلتُه تعليقا على الحديث: **"تأملوا كيف عَلَّم اللهُ النبيَ (ﷺ) أن علاقته بذلك الكتاب لا تقف عند حدود حفظ ألفاظه، وكيفية أدائه، لكنها تتعدى ذلك إلى الإنصات والاستماع؛ لتحصل الهداية ويكتمل الاتباع"**

وطفقتُ أتحدثُ عن أهمية فهم القرآن، وضرورة تدبره، وأن المقصود الأول من إنزاله العمل به، فاللهُ قد تَكَفَّل لنا بحفظ القرآن ويسره للحفظ والفهم؛ **لكنه لم يتكفل لنا بأن يجعلنا نعمل بالقرآن،** فالمنشود حفظ المباني **(الرواية)** وحفظ المعاني **(الدراية)** وحفظ العمل **(الرعاية)،** لكن لو تعارض الحفظ والتدبر أو الحفظ والعمل قَدَّمْنا التدبر والعمل، فالحفظ مستحب وهو على أقصى التقديرات فرض كفاية، لكن التدبر والعمل فرض عين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ **فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ فَهْمُ مَعَانِيهِ** دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ فَالْقُرْآنُ أَوْلَى بِذَلِكَ"[1]. وقال الملا علي القاري: **"لا شك أن معرفة معنى القرآن أفضل من معرفة لفظه"**[2]

ولقد قام منهج النبي (ﷺ) وأصحابه في التعامل مع القرآن على ثلاثة معالم[3]:

الأول: العناية **بالمعاني والمباني معا** (الإيمان والقرآن)؛ فلا يعتنون **بالمباني فقط** كما يفعل الكثير منا اليوم.

---

[1] مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٢)

[2] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٤٥٨)

[3] لمزيد من التفاصيل يمكنكم مراجعة كتابنا (المنهج النبوي في تعليم الأطفال القرآن)

♥ **الثاني**: العناية **بالمعاني أكثر من المباني وتقديمها عليها** (الإيمان قبل القرآن)؛ فالضبط والقراءة وحفظ الرواية، كانوا يطلقون عليه (القرآن)، والفهم والتدبر والاتباع، كانوا يطلقون عليه (الإيمان). ولم تكن عنايتهم (بالقرآن أو الإقراء) **أكثر من عنايتهم (بالإيمان) أو قبلها** في ترتيب التعليم.

🍒 **الثالث**: العناية بالمعاني كانت **(علما وعملا)**؛ ولم تكن **علما (فهم أو تفسير) فقط** كما يفعل الكثير منا اليوم.

ائذنوا لي أن أعود إلى قارئنا، فقد رأيتُ في عينيه اندهاشا ممزوجا بما يشبه العجز بعد سماعه لتعليقنا السابق على الحديث، فلم يتمالك نفسه وأفصح عما تحدثت به عينه فقال: **لكن كيف نفهم القرآن، إن الأمر صعب؟**

فقلتُ: لا ياسيدي، إن الأمر سهل، لقد قال الله: **{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}** [القمر: ١٧]. قال السعدي في تفسيره معلقا: "أي: ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، **ومعانيه للفهم والعلم**"[١]

قُلْ لي بِرَبِّك: ما الذي تفهمه من قول الله: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ **ضِيزَى**} [النجم: ٢١، ٢٢]؟ أما فهمتَ قُبْح فعل المشركين، وأن قِسْمَتَهم كانت ظالمة جائرة؟ هل أَثَّر عدم معرفتك بكلمة {ضيزى} على فهمك للآيات؟

فذلك حال أغلب القرآن أنه مما تعرفه العرب من كلامها ولا يعذر أحد بجهالته. يقول الدكتور اللاحم: "إن الصحيح والحق في هذه المسألة أن **القرآن معظمه** واضح وبَيِّن وظاهر لكل الناس"[٢].

---

[١] تفسير السعدي (ص: ٨٢٥)

[٢] مفاتح تدبر القرآن (ص: ١١)، وقد جاء ما يشهد لذلك من كلام ابن عباس وسيأتي لاحقا إن شاء الله.

ليست المشكلة في عدم معرفتنا بمعاني المفردات أو تفاسير الآيات، **إن المشكلة في أننا لا نقرأ أو نسمع بنفسية الفهم والتدبر**، وإلا فإن نفس الأشخاص الذين لا يحاولون فهم القرآن، تجد الواحد منهم يقرأ مقالا بلغة عربية رصينة فيفهمه بل ويشرحه لغيره، ويسمع أو يشاهد تحليلا اقتصاديا أو سياسيا معقدا فيفهمه فهما جيدا ويشرحه لغيره.

باختصار: المشكلة أننا لم نُقْبِل على القرآن قراءة أو سماعا بنفسية من يريد الفهم ليتدبر ويعمل، بل بنفسية من يقرأ للقراءة والاستمتاع، ويسمع للتلذذ والسماع.

وسبب ذلك - في رأيي - هو أن العلاقة بالقرآن **سيطرت عليها الطقوسية،** وأضحت **في قاموس مصطلحاتنا يتم اختزالها في** قراءة القرآن أو سماعه وربما ترقت عند البعض إلى حفظه أو ضبطه.

لذا فإننا في حاجة ماسة إلى أن نُصَحِّح قاموس مُفْرَداتنا الشرعية لتكون على مراد الله، وعلى طريقة رسول الله (ﷺ)، بفهم سلف الأمة، لتعود المعاني الصحيحة إلى قواميسنا التي اضطربت اضطرابا كبيرا.

فقد طالت الطقوسية **(الصلاة)** فأصبحت في قواميسنا "حركة الجوارح والظاهر"، لا حركة الظاهر تبعا لحركة القلب، وتفاعلا مع ذكر الرب.

قال الله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ **لِذِكْرِي**} [طه: ١٤]، واعتبر رسول الله (ﷺ) أن الذي لم يخشع في صلاته ولم يطمئن فيها، لم يصلِ، رغم أنه قد أتى بحركات الظاهر كلها، فقال للرجل: «ارْجِعْ فَصَلِّ **فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»[١]؛ لأن الصلاة **صلة القلب بالرب.**

---

[١] صحيح البخاري (٣/ ٢٧٦)

وطالت الطقوسية (القيام) فأصبح في قواميسنا عبارة عن مجرد "تمارين لاختبار القدرة على الوقوف وإنجاز أكبر قدر من المقروء أو المسموع"، ولم يَعُد كما كان عند سلفنا "لحظات يخلو فيها القلب بالرب، يرتشف فيها من كؤوس المناجاة والقرب"

قَالَ (ﷺ): "وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ"[1]

وطالت الطقوسية (الصوم) فأصبح في قواميسنا عبارة عن مجرد "تجويع وتعطيش وحرمان"، ولم يَعُد "معراجا للروح وتهذيبا للنفس ووسيلة لتقوى الرحمن". أصبح الصوم فقط "إمساك عن المفطرات المباحات"، وغاب مقصوده الرئيس "الإمساك عن المؤذيات والمحرمات"

قال الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[2]. وقَالَ (ﷺ) أيضا: "رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ"[3]

وطالت الطقوسية (الذِكْر والدعاء) فأصبح في قواميسنا عبارة عن تعاويذ وتمتمات، ولم يَعُد برهانا على حب المذكور، وتحريرا وتطهيرا للقلب المأسور.

وقد وَصَّى الله نبيه (ﷺ) وَوَصَّانا بحضور القلب عند ذكر ودعاء الرب؛ فقال: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف: ٢٠٥].

---

[1] مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٤٤٥) وصححه الأرناؤوط والألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٠). وقال ابن عباس وغيره: "صلاة ركعتين في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه!" مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٥٢)

[2] صحيح البخاري (٧/ ١٨٥)

[3] مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٤٤٥) وصححه الأرناؤوط والألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٠)

قال رسول الله (ﷺ): "واعلموا أن الله **لا يستجيب دُعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ**"[1]

صريعُ الطقوسية ذاك الذي صلى ولم يُصَلِّ، وقام ولم يَقُمْ، وصام ولم يَصُمْ، وذكر ولم يَذْكُر، ودعا ولم يَدْعُ، هل تتخيل أنه سيبالي بأن يتحرر من الطقوسية فتكون قراءته للقرآن **قراءة عبودية؛** يتواطئ فيها قلبه مع لسانه ليفهم ويتدبر؟

وتلك الطقوسية التي طالت التعامل مع القرآن؛ فأضحت القراءة لمجرد القراءة، والسماع لمجرد السماع، **هي أبشع وأخطر مظاهر الطقوسية** في حياة المسلمين على الإطلاق؛ لأن حُسن التعامل مع القرآن من شأنه أن يكون سببا في إصلاح كل العبوديات التي يؤديها الإنسان.

لقد سيطرت الطقوسية فعلا على تعاملنا مع القرآن الكريم؛ وأغفلنا الكثير من جوانب العبودية لاسيما العبوديات القلبية.

فرغم أننا جميعا على يقين أن **الله إنما أنزل القرآن لنعمل به؛** إلا أن واقعنا يحكي متألما أن الكثير منا لايبالي بما أنزل الله القرآن لأجله؛ **فمعظم اهتمامنا مُنْصَبٌّ على المباني** (الألفاظ)؛ وهناك **إهمال مُرَوِّع للمعاني؛** فنحن تقريبا الأمة الوحيدة التي تقرأ كتابها المقدس للقراءة، رغم أن كل الناس يقرأون ليُحَصِّلوا العلم والعمل؛ بل إن **الشيء الوحيد في حياتنا الذي نقرؤه للقراءة هو القرآن الكريم.**

نحن لا نقرأ لائحة العمل في مؤسساتنا، ولا دليل استخدام سياراتنا لمجرد القراءة؛ لكن **لم نتمكن من إقامة القرآن مقام مقالة في جريدة** نقرؤها ونفهمها وأحيانا نحللها ونخرج منها بواجبات عملية.

[1] السلسلة الصحيحة (٢/ ٩٣)

إننا حين تصلنا رسالة ممن نثق في علمه وحكمته ممن يحبوننا ونحبهم من البشر؛ فإننا ننشغل بمعانيها أكثر من الانشغال بمبانيها؛ فنفهمها ونتدبرها ونعمل بما أوصانا به أولئك الذين يحبوننا. لكننا في الوقت ذاته **لا نفعل ذلك مع أعظم رسالة في الوجود** (القرآن الكريم) رسالة الله لنا. قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب: ٣٩]

أغلب مجهوداتنا - للأسف - منصرفة للمباني؛ فنُقَدِّم **الحروف على الحدود**، وننشغل **بالرواية** على حساب **الدراية والرعاية**، ونهتم **بالقرآن** (التلاوة والتجويد وحفظ الرواية) على حساب **الإيمان** الكامل بالقرآن (الفهم والتدبر والعمل).

إن حقوق مباني القرآن تخضع لعملية **(تهويل) رهيبة**، أما حقوق المعاني فتتعرض لعملية **(تهوين) عجيبة**، وبين التهويل والتهوين، **غابت الأولويات** في التعامل مع كتاب رب العالمين، وصارت الدعوات المنادية **بإعطاء كل ذي حق حقه**، وإعادة الأمور إلى نصابها دعوات مُسْتهجنة من كثير من المسلمين، بل أحيانا من كثير من المتخصصين والمتصدرين.

لقد تعرضت حقوق المعاني **لعملية سطو** من حقوق المباني، فاحتلت المباني مساحات واسعة من تلك التي تخص المعاني، ويا ليت الأمر توقف عند هذا الحد، بل تم **إهمال المساحة المخصصة للمعاني**.

وبلغ السطو والاحتلال والتغرير أبشع صوره حين أصبحت المصطلحات التي تصف حقوق المعاني تُفَسَّر بعبارات تختص بالمباني؛ فصار معنى (العمل بالقرآن) "تلاوة ألفاظه"، وحدثت **انتكاسة مفاهيمية مُفزعة**، وأُرِيْقَت على عتبات المباني المفاهيم السديدة لحقوق المعاني، وصارت غريبة غربة نوح في وسط قومه.

وهذا ما جعل ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «أنزل عليهم القرآن **ليعملوا به فاتّخذوا درسه عملًا**، إنّ أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته، ما يسقط منه حرفًا، وقد أسقط العمل به»[1]. ووافقه في توصيف تلك الفاجعة الْفُضَيْلُ حين قال: "إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ **فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا**"[2]. وأبو حازم حين أعلن متوجعا: «رَضِيَ النَّاسُ مِنَ **الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ**، وَرَضُوا مِنَ الْفِعْلِ بِالْقَوْلِ»[3].

إننا – باختصار – نعاني اليوم من خلل في التصورات أفرز خللا في السلوكيات، جعلنا نهتم **بالوسيلة** على حساب **الغاية**، وننشغل **بالأعراض** على حساب **الأمراض**، ونُقَدِّم التربية **الكمية** على التربية **الكيفية النوعية**، ونؤثر الإسراع **والتعجل** على التأني **والتمهل**، فنجحنا في تشييد **البنيان** وأخفقنا في بناء **إنسان الإيمان والعمران**؛ لأننا قَدَّمنا الحضارة **العمرانية** على الحضارة **الإيمانية**.

ودعوني أُلَخِّص لكم سبب كل تلك الإشكاليات والانفصامات في عبارة واحدة **"الحياد عما أوصى به الله في التعامل مع القرآن، ومخالفة المنهج النبوي في تعلم القرآن وتدبره والعمل به وتعليمه"**. فالعناية بمعاني القرآن (**لا مجرد القراءة أو الحفظ**) عصمة وهداية وسعادة؛ قال تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه: ١٢٣]، وقال سبحانه: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٣٨]. **واتباع منهج النبي (ﷺ) عصمة**؛ قال تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور: ٥٤]، وقال سبحانه: {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: ٥٦]

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ١٣٤)

[2] اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٧٦)

[3] اقتضاء العلم العمل (ص: ٦٠)

فهيا أيها الحبيب، عاهد الرحمن من الآن على تصحيح القاموس، ولتكن البداية من القرآن. وَطِّن نفسك أنك حين تقرأ أو تسمع بلا فهم أو تدبر **فكأنك لم تقرأ،** وحين تفهم أو تتدبر بلا اتباع فكأنك لم تفهم أو تتدبر.

تَأَمَّل معي، كيف كانت العاقبة لما أصاب القاموسَ الخلل عند الخوارج:

فقد وصفهم الرسول ﷺ بقوله: "قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ **لاَ يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ** يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"[1]. وقال أيضا: «يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ **لَيِّنًا رَطْبًا** (سهلا يواظبون على قراءته ويجودونه)، **لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**»[2].

قال النووي: «أَيْ: يَتْلُونَ كِتَابَ الله سَهْلًا **لِكَثْرَةِ حِفْظِهِمْ**»[3]. وقَالَ: «الْمُرَادُ أَنَّهُمْ **لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حَظٌّ إِلَّا مُرُورَهُ عَلَى لِسَانِهِمْ** لَا يَصِلُ إِلَى حُلُوقِهِمْ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ **تَعَقُّلُهُ وَتَدَبُّرُهُ بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْبِ**»[4]. وقال الزركشي: "ذَمَّهم بإحكام ألفاظه **وترك التفهم لمعانيه**"[5]

وَتَأَمَّل معي كيف كان معنى "العلاقة بالقرآن" في قاموس سلف الأمة:

ففي قاموسهم تَعَلُّم القرآن يساوي القيام بحقوقه كاملة، وحِفْظ القرآن يساوي حِفْظ المباني (الرواية) والمعاني (الدراية) والعمل (الرعاية)؛ فقد قال ابن مسعود: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن **حتى يعرف معانيهن والعمل بهن**"[6]

---

[1] صحيح مسلم (٣/ ١١٦)

[2] صحيح البخاري (٥/ ١٦٤).

[3] شرح صحيح مسلم للنووي (٤/ ٢١).

[4] فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٩٣).

[5] البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٥٥)

[6] تفسير الطبري (١/ ٨٠)، وقال الشيخ شاكر: "هذا إسناد صحيح. وهو موقوف ... ولكنه مرفوع معنى"

وفي قاموسهم، مَن يقرأ ولم يتفهم ويتدبر فكأنه لم يقرأ؛ فقد ذُكِرَ لعائشة رضي الله عنها أَنَّ نَاسًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلَةِ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَتْ: **"أُولَئِكَ قَرَءُوا، وَلَمْ يَقْرَءُوا"**[١]، وقال علي رضي الله عنه: "لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا عِلْمَ لَا فِقْهَ فِيهِ، **وَلَا قِرَاءَةَ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا**"[٢]

لـمَّا كانت قواميسهم صحيحة، وَطَّنوا النفس على الصواب، فاهتدوا وهدوا، ورشدوا وأرشدوا.

لو وَطَّنت نفسك على أنك لو قرأت بلا فهم ولا تدبر كأن لم تقرأ، **ألن تفهم وتتدبر**؟ لو وَطَّنت نفسك على أنك لو حفظت المباني فقط كأن لم تحفظ، **ألن تفهم المعاني وتعمل**؟

لو صَحَّحْتَ قاموس هجر القرآن، فأيقنت أن **دائرة هجره تتسع لتشمل كل حقوقه**؛ من تلاوة واستماع وضبط وحفظ وفهم وتدبر واتباع وتداوٍ وتحكيم ودعوة وتعليم، **ألن تجتهد حينها في أن توفي القرآن حقوقه**؟

ويحكي الغزالي في الإحياء عن بعض السلف قوله: "آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها **لا أعدّ لها ثوابًا**"[٣].

وما أروع هذا المبدأ في سياسة النفس، والتحرر من الأوهام وما تتسبب فيه من حبس! فقد أَلْزَم ذلك الصالح نفسه بالتدبر والتفهم، وَوَطَّن نفسه على أن قراءته لا ينبغي أن تنزل عن هذه الرتبة.

---

[١] مسند أحمد ط الرسالة (٤١/ ١٥٥)، وصححه الأرناؤوط.

[٢] الدارمي في المقدمة (١/ ١٠١) برقم (٢٩٧)، تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٤).

[٣] إحياء علوم الدين (٢/ ٤٨)

ولا ننكر أن القرآن كريم، لا يتصل به أحد بأي لون من الاتصال إلا عاد بفضل عظيم وخير عميم، لكن الفضل الأعظم والخير الأعم لمن ارتقت صلته بالقرآن **فاعتبر أنه إن لم يقم بحقوقه على مراد الله فكأنما هجره.**

ولذلك فإن المشكلة أن الشيطان يُصَوِّر لنا **ألا بأس في قراءة بلا تفهم ولا تدبر،** ولا ضير في حفظ بلا اتباع؛ فإذا تمكن عدو الله من تقرير هذه النقطة في النفس؛ **ترقى في تزيينه ووسوسته إلى ما هو أبشع،** فيزين للإنسان أن مجرد القراءة أهم وأكبر ثوابا من التفهم والتدبر، وأن مجرد الحفظ أهم وأعظم أجرا من الاتباع.

قال ابن القيم: "الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، **حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم سبحانه،** فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه ... وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر"[1]

تلك أوهام كانت من نسج الشيطان؛ لأن مراده أن يُهلك الإنسان، وإن لم يتمكن من تزهيده في العمل، **ناضل ليقلل انتفاعه به** بأن يشغله بالمفضول عن الفاضل.

لكن المشكلة الأكبر أن الإنسان نفسه صار يُصَدِّق تلك الأوهام وغيرها، وصار يتولى بنفسه إشاعتها والتنظير لها، بل وأضاف لتلك الأوهام أوهاما أخرى، وصارت تلك الأوهام هي عقبته الكبرى.

فما هي تلك الأوهام؟ وكيف نشأت؟ وكيف نتحرر منها؟ هذا ما نتعرف عليه في السطور القادمة إن شاء الله.

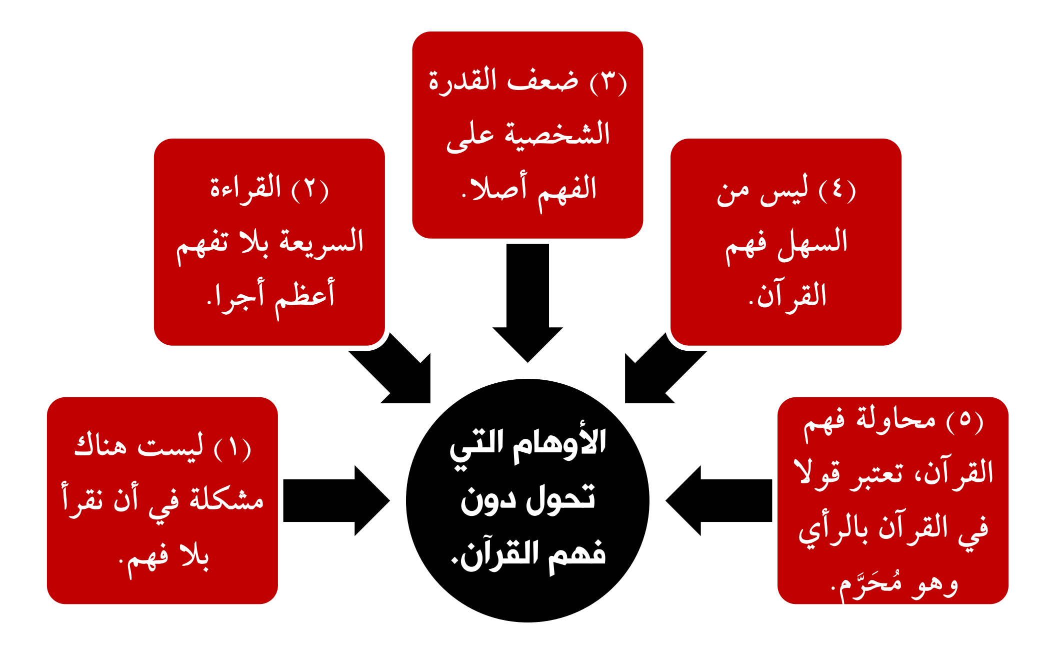
[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٩٣)

الأوهام التي تَحول دون فهم القرآن

مسألة فهم القرآن في واقع المسلمين يكتنفها أوهام؛ تسببت في هروب الكثير من المسلمين من فهم القرآن؛ وأرى أن كلمة (**هروب**) تعبر تعبيرا دقيقا عن الحالة التي وصل إليها كثير من المسلمين اليوم في التعامل مع القرآن؛ إنه هروب عن عمد مع سبق الإصرار والترصد.

وإنْ تَعْجَب من هروب جماهير المسلمين من تفهم القرآن مرة؛ فلابد أن تعجب من هروب كثير من المعتنين بالقرآن ألف مرة.

وفي سبيل شرعنة ذلك الهروب أوقع الشيطان الكثير من المسلمين في أوهام حالت بينهم وبين الفهم؛ نحاول في السطور القادمة - إن شاء الله - تسليط الضوء عليها؛ ورصدها وعلاجها؛ ويمكننا تلخيص أبرز تلك الأوهام في الشكل التالي:



الوهم الأول: لا بأس أن نقرأ ولا نفهم

لطالما كنت أقول: ويلي! **مَن ذا الذي خدعنا وأوهمنا أنه "لا بأس أن نقرأ ولا نفهم"؟!!** ولماذا **استجبنا** لمن أوهمنا بذلك؟!! ولماذا **تَدَنَّى طموحنا** فيما يتعلق بالقرآن؛ فصرنا نرضى بأن نفعل الجائز "القراءة بدون فهم"، **ونترك الفرض أو المستحب** على أقل التقديرات "الفهم"؟!!

نحن لا تنقصنا "مهارات" أو "خبرات"؛ بقدر ما **تنقصنا "الإرادات"**، نحن باختصار: **لانريد أن نفهم**، لأننا قد توهمنا أنه لابأس بأن نقرأ بلا فهم، وتم التغرير - بدون قصد غالبا - بنا حين زعم البعض أن القراءة بلا فهم أعظم أجرا من القراءة بفهم.

يقول ابن القيم متوجعا: "تركوا التدبر المأمور به، والتذكر والعقل لمعاني النصوص الذي هو أساس الإيمان وعمود اليقين، وأعرضوا عنه بقلوبهم، وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك، **وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها**"[1].

ويقول: "حتى إن كثيرا من المنتسبين إلى السنة يعتقدون أن طريقة السلف هي **الإيمان بألفاظ النصوص والإعراض عن تدبر معانيها وتفقهها وتعقلها**"[2]

نحن - تقريبا – الأمة الوحيدة الآن في العالم التي **تقرأ كتابها المقدس "للقراءة"!!!!** بل القرآن هو **الكتاب الوحيد الذي نقرؤه للقراءة!!!!**

---

[1] الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٤)

[2] الصواعق المرسلة (٣/ ١١٣٣)

فلا تجد أحدا منا يشتري كتابا يحمل عنوانا يجذبه؛ ويقرؤه للقراءة، بل لا نجد أحدا يقرأ مقالا في جريدة ثم تسأله عن مضمون ما كان يقرأ؛ فيكون جوابه: **"إنما كنت أقرأ للقراءة"**.

إنها مفارقات عجيبة؛ **فمتى ننتقل في التعامل مع القرآن من "الطقوسية" إلى "العبودية"؟** متى نرتفع عن التعامل مع القرآن وكأنه ترانيم أو تعاويذ؟ ونقدره حق قدره، فنفهم معانيه، ونتدبر ما فيه؟

أولا: القرآن يؤكد على أهمية وضرورية الفهم:

لقد ذَمَّ الله عزوجل اليهود لكونهم قد **حملوا أمانة المباني وأهملوا المعاني**؛ بل لم يعتبرهم قد حملوا الأمانة أصلا؛ فقال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ **ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا** كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة: ٥].

ومعنى (حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ): **كلفوا علمها والعمل بها،** (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها) ثم **لم يعملوا بها،** فكأنهم لم يحملوها[١].

وقال أهل المعاني: وهذا المثل يلحق **من لم يفهم معاني القرآن** ولم يعمل به وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه[٢].

يقول القرطبي: "وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ حَمَلَ الْكِتَابَ **أَنْ يَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ وَيَعْلَمَ مَا فِيهِ،** لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنَ الذَّمِّ ما لحق هؤلاء"[٣]

---

[١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٣٠)

[٢] التفسير البسيط (٢١/ ٤٥٠)

[٣] تفسير القرطبي (١٨/ ٩٤)

ويقول ابن كثير: "وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ فِي حَمْلِهِمُ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتُوهُ، **حَفِظُوهُ لَفْظًا وَلَمْ يَفْهَمُوهُ وَلَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ**، بَلْ أَوَّلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، فَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحَمِيرِ؛ لِأَنَّ الْحِمَارَ لَا فهمَ لَهُ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ فُهُومٌ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا"[1]

📖 ويذم القرآن مَن نصيبه من القرآن؛ التلاوة فقط بلا تفهم؛ فيقول تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ **لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ** وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة: ٧٨].

فَيَرَى معظم المفسرين (كمكي بن أبي طالب والماوردي والبغوي والزمخشري وابن عطية وابن الجوزي والقرطبي والبيضاوي والخازن وأبو السعود والشوكاني والآلوسي وصديق حسن والقاسمي ورشيد رضا وغيرهم[2]) أن التمني في هذا الموضع يأتي بمعني **(القراءة)**.

فقد قال مكي: "فهم لا يعلمون منه إلا التلاوة **ولا يفهمونه ولا يعملون به**"[3]، وقال البغوي: "وَهِيَ جَمْعُ الْأُمْنِيَّةِ وَهِيَ التِّلَاوَةُ ... وَقِيلَ: يَعْلَمُونَهُ حِفْظًا وَقِرَاءَةً **لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَاهُ**. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي **غَيْرَ عَارِفِينَ بِمَعَانِي الْكِتَابِ**"[4]، وقال القرطبي: "وَالْأَمَانِيُّ جَمْعُ أُمْنِيَّةٍ وَهِيَ **التِّلَاوَةُ** ... وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ" أَيْ إِذَا تَلَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي تِلَاوَتِهِ"[5].

---

[1] تفسير ابن كثير (٨/ ١١٧)

[2] انظر: تفسير ابن عطية (١/ ١٦٩)، تفسير الماوردي (١/ ١٥٠)، زاد المسير (١/ ٨١)، تفسير الزمخشري (١/ ١٥٧)، تفسير الخازن (١/ ٥٦)، وكلام الباقين يأتي بمراجعه بعد.

[3] الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٣٢٠)

[4] تفسير البغوي (١/ ١١٤)

[5] تفسير القرطبي (٢/ ٦)

وقال البيضاوي: "إلا ما يقرءون **قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره**"[1]. وقال أبو السعود: "يتلقَّوْنه قدْرَ ما يُتلى عليهم فيقْبَلونه **من غير أن يتمكنوا من التدبر فيه**"[2]. وقال الشوكاني: "وَقِيلَ: الْأَمَانِيُّ: **التِّلَاوَةُ** ... أَيْ: لَا عِلْمَ لَهُمْ إِلَّا مُجَرَّدُ التِّلَاوَةِ مِنْ دُونِ تَفَهُّمٍ وَتَدَبُّرٍ"[3]. وقال الآلوسي: "وقيل: إلا ما يقرؤون **قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره** ... وإما على سبيل الأخذ من الغير فكثيرا ما **يقرؤون من غير علم بالمعاني**، ولا بصور الحروف"[4]. وقال صديق حسن: "أي لا علم لهم إلا مجرد التلاوة **من دون تفهم وتدبر، وقراءة عارية عن معرفة المعنى**"[5]. وقال القاسمي: "لا يعلمون الكتاب، لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم؛ فيقبلونه **من غير أن يتمكنوا من التدبر والتأمل فيه**"[6]. وقال رشيد رضا: "وَقَدْ وَرَدَ التَّمَنِّي بِمَعْنَى **الْقِرَاءَةِ** ... وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّمَنِّي قَدْ بَرَزَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى سَبَقُوا مَنْ قَبْلَهُمْ، فَقَدْ أَمْسَوْا أَكْثَرَ الْأُمَمِ تِلَاوَةً لِكِتَابِهِمْ، **وَأَقَلَّهُمْ فَهْمًا لَهُ وَاهْتِدَاءً بِهِ**"[7]

ويقول الجوهري في سر تسمية القراءة (أمنية): "والتلاوة سُمِّيت: أُمنية، لأنّ تالي الْقُرْآن **إِذا مرّ بِآيَة رَحْمَة تمنّاها**، وَإِذا مرّ بِآيَة عَذَاب **تمنّى** أَن يُوقّاه"[8]

---

[1] تفسير البيضاوي (١/ ٨٩)

[2] تفسير أبي السعود (١/ ١١٩)

[3] فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢٢)

[4] تفسير الألوسي (١/ ٣٠٢)

[5] فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ٢٠٧)

[6] تفسير القاسمي (١/ ٣٣٧)

[7] تفسير المنار (١/ ٢٩٨)

[8] تهذيب اللغة (١٥/ ٣٨٣)

ومعظم أولئك المفسرين يرى أنها تحتمل معاني أخرى (بالإضافة لمعنى القراءة)؛ كالأكاذيب أو التمنيات أو التقدير. في حين لم يذكر البعض الآخر إلا (القراءة) فقط كالواحدي والسعدي؛ فقد قال الواحدي: "والأمنية في هذه الآية: **التلاوة**"[1]، وقال السعدي: "{لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ} أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا **التلاوة فقط**"[2].

وقال الرازي: "**وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ: حَمْلُهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ أَوْلَى** ... وَلِأَنَّ حَمْلَهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ أَلْيَقُ بِطَرِيقَةِ الِاسْتِثْنَاءِ لِأَنَّا إِذَا حَمَلْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ كَانَ لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ فَيَسْمَعُونَهُ وَبِقَدْرِ مَا يُذْكَرُ لَهُمْ فَيَقْبَلُونَهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَا يَتَمَكَّنُونَ مِنَ التَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَإِذَا حُمِلَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْأَحَادِيثُ وَالْأَكَاذِيبُ أَوِ الظَّنُّ وَالتَّقْدِيرُ وَحَدِيثُ النَّفْسِ كَانَ الِاسْتِثْنَاءُ فِيهِ نَادِرًا"[3]

وبعد أن ذكر ابن عاشور المعاني المحتملة لكلمة (الأماني) رجح أن معناها هنا **(التمنيات)**؛ فقال: "وَقَدْ قِيلَ الْأَمَانِيُّ الْقِرَاءَةُ أَيْ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا كَلِمَاتٍ يحفظوها وَيَدْرُسُونَهَا لَا يَفْقَهُونَ مِنْهَا مَعْنًى كَمَا هُوَ عَادَةُ الْأُمَمِ الضَّالَّةِ **إِذْ تَقْتَصِرُ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى السَّرْدِ دُونَ فَهْمٍ** ... وَعِنْدِي أَنَّ الْأَمَانِيَّ هُنَا **التَّمَنِّيَاتُ** وَذَلِكَ نِهَايَةٌ فِي وَصْفِهِمْ بِالْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ أَيْ هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَهُ وَلَكِنَّهُمْ يَدَّعُونَ ذَلِكَ"[4]

---

[1] التفسير البسيط (٣/ ٨٦)

[2] تفسير السعدي (ص: ٥٦)

[3] تفسير الرازي (٣/ ٥٦٤)

[4] التحرير والتنوير (١/ ٥٧٥)

أما الطبري فيرى أن "التمني" في هذا الموضع، هو **"تخلق الكذب وتخرصه وافتعاله"**[1]. ونقل ابن كثير نقولات عن الطبري بما فيه ترجيح الطبري ولم يذكر معنى (التلاوة)[2].

ثانيا: الرسول ﷺ يؤكد على أهمية وضرورية الفهم بأقواله وأحواله:

ولقد نهى ﷺ عن قراءة القرآن في أقل من ثلاثة أيام؛ **لتعارضه مع الفهم**، ومنه يتبين تأكيده على الفهم وأهميته؛ فقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو: "فَاقْرَأْهُ فِي ثَلَاثٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ **يَفْقَهْهُ**"[3]. وفي رواية: "**لَمْ يَفْقَهْ** مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ"[4]. وفي رواية أنه ﷺ قال له: «فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ **وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ**»[5]

قال العظيم آبادي: "(لَا يَفْقَهُ) أَيْ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَلَا يَتَدَبَّرُ فِيهَا وَلَا يَتَفَكَّرُ ... **وَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ لَا يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**"[6]

قال ابن كثير: "وقد **كره غير واحد من السلف** قراءة القرآن فى أقلِّ من ثلاثٍ، كما هو مذهبُ أبى عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضًا"[7].

---

[1] تفسير الطبري (٢/ ٢٦٢)

[2] تفسير ابن كثير (١/ ٣١١)

[3] رواه أحمد (٦٥٣٥) وصححه الألباني والأرناؤوط. وأورده عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٥٦) بلفظ: «مَنْ قَرَأَهُ فِيمَا دُونَ ثَلَاثٍ **لَمْ يَفْهَمْهُ**».

[4] رواه الترمذي (٢٩٤٩)، وصححه الألباني، انظر الصحيحة (٢٤٦٦)

[5] صحيح البخاري (٦/ ١٩٧)

[6] عون المعبود (٤/ ١٨٧)

[7] فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٢٥٤ وما بعدها)، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٩٧). قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٨/ ٢١٨): "وَالْمُخْتَارُ عِنْدِي مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ وَغَيْرُهُمَا"

قال الألباني: "وهذا نص **عام شامل لجميع الأشخاص** ... فقد ذكر ﷺ أن كل من يقرأ القرآن في أقل من ثلاث لا يفقهه، **ولا يفهمه الفهم المقصود من تلاوة القرآن** ... وقد نسب – عليه الصلاة والسلام – كل من خالف ذلك **إلى عدم الفقه** – كما هو ظاهر معنى الحديث المذكور باللفظ الثاني (يقصد: لا يفقه من يقرأه في أقل من ثلاث). **فالحق أنه لا يجوز قراءة القرآن في أقل من ذلك**. وهو اختيار الإمام أحمد وغيره من الأئمة"[1].

- ونهى الرسول ﷺ عن الاسترسال في العبادة التي لافهم معها؛ فقال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، **فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ**، فَلْيَضْطَجِعْ»[2]. قال ابن هُبَيْرَة: "لا ينبغي للإنسان أن يقرأ **حتى يعلم ما يقرأ؛** لأن **المراد من القراءة تدبرها؛** فإذا غلب النوم حال بين التالي وبين المقصود"[3]
- وكان ﷺ يشدد على القارئ في فهم ما يقرأ لكيلا يقع في خطأ، فقد قال: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا وَلَا حَرَجَ، وَلَكِنْ **لَا تَخْتِمُوا ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، وَلَا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ**"[4].

---

[1] أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٥٢١)

[2] صحيح مسلم (١/ ٥٤٣)

[3] الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٢٨٦)

[4] انظر: الصَّحِيحَة (١٢٨٧). قلتُ: وفي هذا الحديث وما يليه دليل على **ذم ذلك التنطع والتشديد الحاصل من البعض في تعليم تلاوة القرآن وتجويده؛** الفرض هو ألا يلحن لحنا جليا، والمطلوب ألا يخطىء خطئاً فاحشا. **فينبغي أن نتعامل مع الأمر بلا تهوين، ولاتهويل؛** لأن الله قد **أنزله على سبعة أحرف تيسيرا على الناس،** فما بال بعض إخواننا وأخواتنا يعسرونه على الناس، ويقنطونهم من إحسان تلاوته؟!!!!! فما بالهم يُلْزِمون الناس بما لم يلزمهم به الله، ويضيقون ما وَسَّعه سبحانه؟!!!!

وقال ﷺ يوما: "يَا عُمَرُ، إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ **مَا لَمْ يُجْعَلْ عَذَابٌ مَغْفِرَةً أَوْ مَغْفِرَةٌ عَذَابًا**"[1]

وأنكر ﷺ تقديم الناس للأجمل صوتا رغم علمهم أنه الأقل فهما وفقها؛ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمَارَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، واسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْئًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ لِيُغَنِّيَهُمْ **وَإِنْ كَانَ أَقَلَّهُمْ فِقْهًا**"[2]

حِرْصُه (ﷺ) على الفهم:

قال تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ **لِتَعْجَلَ بِهِ** (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: ١٦ - ١٩]

قال الزمخشري: «فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضي إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه ... كأنه كان يعجل في الحفظ **والسؤال عن المعنى جميعا**، كما ترى بعض الحراص على العلم»[3]

وقال الرازي: "الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ (ﷺ) كَانَ يَقْرَأُ مَعَ قِرَاءَةِ جِبْرِيلَ (ﷺ) **وَكَانَ يَسْأَلُ فِي أَثْنَاءِ قِرَاءَتِهِ مُشْكِلَاتِهِ، وَمَعَانِيَهُ لِغَايَةِ حِرْصِهِ عَلَى الْعِلْمِ**، فَنُهِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَنِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، أَمَّا عَنِ الْقِرَاءَةِ مَعَ قِرَاءَةِ جِبْرِيلَ فَبِقَوْلِهِ: {فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}، وَأَمَّا عَنْ إِلْقَاءِ الْأَسْئِلَةِ فِي الْبَيَانِ فَبِقَوْلِهِ: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ}"[4]

---

[1] مسند أحمد (١٦٤١٣) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

[2] صَحِيح الْجَامِع (٢٨١٢)، والصحيحة (٩٧٩)

[3] الكشاف (٤/ ٦٦١)، وكذا قال القاري في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٧١).

[4] تفسير الرازي (٣٠/ ٧٢٩)

قال الخازن: "النبي (ﷺ) كان إذا أشكل عليه شيء **سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم**. فقيل له: نحن نبينه لك"[1]

وقال الطبري في قوله تعالى {فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}: «وأولى ... **الأقوال بالصواب في ذلك** قول من قال: فإذا تُلي عليك **فاعمل به من الأمر والنهي، واتبع ما أُمرت به فيه**»[2]

ونلاحظ أن النبي (ﷺ) كان حريصا جدا على المعاني والمباني؛ فتم إرشاده إلى أن المعاني أهم، وقد تكفل الله لك بالمباني، استمع لمعانيها بقلبك، واقرأها كما سمعتها، واجتهد في اتباع ما جاء فيها، فقد تكفلنا لك أيضا بتبيين ما يستشكل عليك من معانيها، لتتمكن من أن تبينها لغيرك وتؤديها.

ويرى ابن حجر أن سياق الآيات وسباقها ولحاقها **حض على عدم الانشغال بالألفاظ عن المعاني**؛ فيقول: "لَمَّا ذَكَرَ الْقِيَامَةَ وَكَانَ مِنْ شَأْنِ مَنْ يُقَصِّرُ عَنِ الْعَمَلِ لَهَا حُبُّ الْعَاجِلَةِ وَكَانَ مِنْ أَصْلِ الدِّينِ أَنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَى أَفْعَالِ الْخَيْرِ مَطْلُوبَةٌ، فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُعْتَرَضُ عَلَى هَذَا الْمَطْلُوبِ مَا هُوَ أَجَلُّ مِنْهُ وَهُوَ **الْإِصْغَاءُ إِلَى الْوَحْيِ وَتَفَهُّمِ مَا يرد مِنْهُ وَالتَّشَاغُلُ بِالْحِفْظِ قَدْ يَصُدُّ عَنْ ذَلِكَ** فَأُمِرَ أَنْ لَا يُبَادِرَ إِلَى التَّحَفُّظِ لِأَنَّ تَحْفِيظَهُ مَضْمُونٌ عَلَى رَبِّهِ وَلْيُصْغِ إِلَى مَا يَرِدُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَنْقَضِيَ **فَيَتَّبِعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ**"[3]

يقول الدكتور أحمد حطيبة: "ربنا العظيم سبحانه وتعالى يعلم النبي (ﷺ) ويعلم المؤمنين كيف يتعلمون العلم الشرعي، ويعلم الإنسان كيف يتعلم ويحفظ، فقال له سبحانه: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة:١٦].

---

[1] تفسير الخازن (٤/ ٣٧٢)

[2] تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠).

[3] فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٨٠)

لماذا تعجل؟ **افهم أولاً** وتأن وأعد ما نقوله لك ونحن سنثبته في قلبك، كذلك حين يسمع العلم لا يذهب يتكلم وهو يسمع، فلن يعقل هذا الذي يقول، ولكن **يتفهم ويتدبر بقلبه وعقله، ويسمع حتى يفهم ذلك** ويكون من الله عز وجل التحفيظ بعد ذلك، قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة:١٨]، تتبع ما يقوله **متفهماً متأنياً متأملاً واعياً**"[١]

ويقول الدكتور يوسف الخاطي عن النهي الوارد في الآية: "ولعل ذلك والله أعلم **لئلا ينشغل بالحفظ عن الفهم**"[٢]

ثالثاً: الصحابة والعلماء يؤكدون على أهمية وضرورية الفهم:

- وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: "كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْرَ آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى **يعرف معانيهِنَّ، والعملَ بهنَّ**"[٣]

- وقال ابن مسعود لرجل: "إنك في زمان **كثير فقهاؤه**، قليل قرَّاؤه، **تُحفظ فيه حدود القرآن، وتضيع حروفه** ... وسيأتي على الناس زمانٌ **قليلٌ فقهاؤه**، كثيرٌ قرَّاؤه، **يُحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده**"[٤]. قال الباجي معلِّقاً: "وقوله: (وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه) يعني أنَّ من يفقهه ممن يقرأ القرآن قليل، وأنَّ أكثر من في ذلك الزمان **يقرأ القرآن ولا يفقه فيه** ... ولم يرد أنَّ كثرة القراء عيب في ذلك الزمان وإنما عابه بقلَّة الفقهاء فيه، وأنَّ قرَّاءه **لا يفقهونه ولا يعملون به**، وإنما غايتهم منه تحفُّظه وهذا نقصٌ وعيبٌ فيهم"[٥].

---

[١] تفسير أحمد حطيبة (١١٠/ ٤)

[٢] العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف (ص: ٥٢)

[٣] تفسير الطبري (١/ ٨٠)، وقال الشيخ شاكر: "هذا إسناد صحيح. وهو موقوف ... ولكنه مرفوع معنى"

[٤] أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٢) برقم: (٥٩٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٥) برقم: (٧٨٩).

[٥] المنتقى شرح الموطأ (١/ ٣٠٩).

وقال مجاهد: «أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهَّ تَعَالَى أَعْلَمُهُمْ بِمَا أُنْزِلَ»[1].

وقال الْحسن: "وَاللهَّ مَا أَنْزَلَ الله آيَةً إِلَّا أَحَبَّ أَنْ يُعْلَمَ فيما أنزلت وما يعني بها"[2]

وقال إياس بن معاوية: "مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ، كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلًا وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فَتَدَاخَلَتْهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمِصْبَاحٍ فَقَرَءُوا ما في الكتاب"[3].

وقال الطبري: "محال أنْ يُقَال لمن لا يَفهم ما يُقَال له، ولا يَعْقِل تأويلَه: (اعتبرْ بِما لا فَهْم لك به، ولا مَعْرفة مِن القيل والبيان) إلا على معنى الأمْرِ بأنْ يَفْهَمه، ويفقهه، ثم يتدبره، ويعتبر به، فأَمَّا قَبْل ذلك فمستحيلٌ أَمْرُهُ بتدبُّره، وهو بمعناه جاهِلٌ"[4]

وقال الطرطوشي: "ومما ابتدعه الناس في القرآن الاقتصار على حفظ حروفه؛ دون التفقه فيه"، وقال تعليقا على قوله تعالي (مثل الذين حملوا التوراة): "فدخل في عموم هذا من يحفظ القرآن من أهل ملتنا، ثم لا يفهمه، ولا يعمل بما فيه"، وقال: "وسئل مالك عن صبي ابن سبع سنين جمع القرآن، فقال: (ما أرى هذا ينبغي). وإنما وجه إنكاره ما تقرر في الصحابة من كراهة التسرع في حفظ القرآن دون التفقه فيه"[5]

---

[1] تفسير ابن عطية (١/ ٤٠)

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢/ ٦٩)

[3] زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٢)

[4] تفسير الطبري (١ / ٨٢).

[5] الحوادث والبدع (ص: ٩٦ وما بعدها)

- وقال الزركشي: "وَبِالْجُمْلَةِ فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ لَمْ يُنْزِلْهُ تَعَالَى إِلَّا **لِيُفَهِّمَهُ وَيُعْلَمَ وَيُفَهَّمَ** وَلِذَلِكَ خَاطَبَ بِهِ أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ يفقهون والذين يتفكرون لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"[1]
- وقال ابن الجوزي: "إن الله تعالى قد صنف هذه المخلوقات فأحسن التركيب وأحكم الترتيب، ثم عرضها على الألباب، فأي لب أوغل في النظر مُدح **على قدر فهمه** فأحبه المصنف، وكذلك أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحكم، **فمن فتّشه بيد الفهم** وحادثه في خلوة الفكر، استجلب رضا المتكلم به، وحظي بالزلفى لديه"[2]. وقال أيضا: "لّما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، **كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم**، لأن شرف العلم بشرف المعلوم"[3]
- وقال ابن رجب: "وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَشِدَّةُ حُبِّهِ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ، إِذْ هُوَ كَلَامُ الْخَالِقِ، **وَشِدَّةُ الرَّغْبَةِ فِي فَهْمِهِ، وَشِدَّةُ الْعِنَايَةِ لِتَدَبُّرِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِطَلَبِ مَعَانِي مَا أَحَبَّ مَوْلَاهُ أَنْ يُفْهِمَهُ عَنْهُ، أَوْ يَقُومَ بِهِ لَهُ بَعْدَ مَا يُفْهِمُهُ**، وَكَذَلِكَ النَّاصِحُ مِنَ الْعِبَادِ **يَفْهَمُ وَصِيَّةَ مَنْ يَنْصَحُهُ**، وَإِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْهُ، **عُنِيَ بِفَهْمِهِ لِيَقُومَ عَلَيْهِ بِمَا كَتَبَ بِهِ فِيهِ إِلَيْهِ**، فَكَذَلِكَ النَّاصِحُ لِكِتَابِ رَبِّهِ، **يُعْنَى بِفَهْمِهِ لِيَقُومَ لِلَّهِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، ثُمَّ يَنْشُرُ مَا فَهِمَ** فِي الْعِبَادِ وَيُدِيمُ دِرَاسَتَهُ بِالْمَحَبَّةِ لَهُ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ"[4].

---

[1] البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٥)

[2] صيد الخاطر، لابن الجوزي ص ٩١.

[3] زاد المسير في علم التفسير (١/ ١١)

[4] جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢١)

وقال الحارث المحاسبي: "وَإِذا كَانَ كَلَام الْعَالم أولى بالاستماع من كَلَام الْجَاهِل، وَكَلَام الوالدة الرؤوم أَحَق بالاستماع من كَلَام غَيرهَا، وَالله أعلم الْعلمَاء وأرحم الرُّحَمَاء، **فَكَلَامه أولى كَلَام بالاستماع والتدبر والفهم**"[1]

وقال شيخ الإسلام: "وَحَاجَةُ الْأُمَّةِ مَاسَّةٌ إلَى **فَهْمِ الْقُرْآنِ** ... **وَتَدَبُّرُ الْكَلَامِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ لَا يُمْكِنُ**. وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: {إنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} وَعَقْلُ الْكَلَامِ مُتَضَمِّنٌ **لِفَهْمِهِ**. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ **فَهْمُ مَعَانِيهِ دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ** فَالْقُرْآنُ أَوْلَى بِذَلِكَ. وَأَيْضًا فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنْ الْعِلْمِ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ **وَلَا يستشرحوه** فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؟"[2].

ويقول: "وَالْمَطْلُوبُ مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ **فَهْمُ مَعَانِيهِ وَالْعَمَلُ بِهِ** فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِمَّةَ حَافِظِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ ... إنْ كَانَ قَدْ حَفِظَ الْقُرْآنَ أَوْ بَعْضَهُ وَهُوَ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَهُ **فَتَعَلُّمُهُ لِمَا يَفْهَمُهُ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ أَفْضَلُ** مِنْ تِلَاوَةِ مَا لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَهُ"[3].

وقال أيضا: "دَخَلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: {خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ} تَعْلِيمُ **حُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ** جَمِيعًا؛ بَلْ **تَعَلُّمُ مَعَانِيهِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ بِتَعْلِيمِ حُرُوفِهِ** وَذَلِكَ **هُوَ الَّذِي يَزِيدُ الْإِيمَانَ**"[4]

---

[1] فهم القرآن (ص: ٢٤٧)

[2] مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٠-٣٣٢)

[3] مجموع الفتاوى (٢٣/ ٥٥-٥٦)

[4] مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٣)

وقال في معرض كلامه عن صفات الذين يرفعهم الله درجات من أهل العلم والإيمان: "فَهُوَ دَائِمُ التَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ وَالتَّدَبُّرِ لِأَلْفَاظِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَحُكْمِهِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ وَإِذَا سَمِعَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ النَّاسِ وَعُلُومِهِمْ عَرَضَهُ عَلَى الْقُرْآنِ فَإِنْ شَهِدَ لَهُ بِالتَّزْكِيَةِ قَبِلَهُ وَإِلَّا رَدَّهُ وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ بِقَبُولِ وَلَا رَدٍّ وَقَفَهُ وَهِمَّتُهُ عَاكِفَةٌ عَلَى مُرَادِ رَبِّهِ مِنْ كَلَامِهِ. وَلَا يَجْعَلُ هِمَّتَهُ فِيمَا حُجِبَ بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنْ الْعُلُومِ عَنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ إمَّا بِالْوَسْوَسَةِ فِي خُرُوجِ حُرُوفِهِ وَتَرْقِيقِهَا وَتَفْخِيمِهَا وَإِمَالَتِهَا وَالنُّطْقِ بِالْمَدِّ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ وَالْمُتَوَسِّطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَإِنَّ هَذَا حَائِلٌ لِلْقُلُوبِ قَاطِعٌ لَهَا عَنْ فَهْمِ مُرَادِ الرَّبِّ مِنْ كَلَامِهِ وَكَذَلِكَ شَغْلُ النُّطْقِ بـ {أَأَنْذَرْتَهُمْ} وَضَمُّ الْمِيمِ مِنْ (عَلَيْهِمْ) وَوَصْلُهَا بِالْوَاوِ وَكَسْرُ الْهَاءِ أَوْ ضَمُّهَا وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ مُرَاعَاةُ النَّغَمِ وَتَحْسِينُ الصَّوْتِ. وَكَذَلِكَ تَتَبُّعُ وُجُوهِ الْإِعْرَابِ وَاسْتِخْرَاجُ التَّأْوِيلَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ الَّتِي هِيَ بِالْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِيِّ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْبَيَانِ. وَكَذَلِكَ صَرْفُ الذِّهْنِ إلَى حِكَايَةِ أَقْوَالِ النَّاسِ وَنَتَائِجِ أَفْكَارِهِمْ. وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ عَلَى قَوْلِ مَنْ قَلَّدَ دِينَهُ أَوْ مَذْهَبَهُ فَهُوَ يَتَعَسَّفُ بِكُلِّ طَرِيقٍ حَتَّى يَجْعَلَ الْقُرْآنَ تَبَعًا لِمَذْهَبِهِ وَتَقْوِيَةً لِقَوْلِ إمَامِهِ وَكُلٌّ مَحْجُوبُونَ بِمَا لَدَيْهِمْ عَنْ فَهْمِ مُرَادِ اللَّهِ مِنْ كَلَامِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرِهِ. وَكَذَلِكَ يَظُنُّ مَنْ لَمْ يُقَدِّرْ الْقُرْآنَ حَقَّ قَدْرِهِ أَنَّهُ غَيْرُ كَافٍ فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَا يَجِبُ لِلَّهِ وَيُنَزَّهُ عَنْهُ؛ بَلْ الْكَافِي فِي ذَلِكَ عُقُولُ الْحَيَارَى والمتهوكين الَّذِينَ كُلٌّ مِنْهُمْ قَدْ خَالَفَ صَرِيحَ الْقُرْآنِ مُخَالَفَةً ظَاهِرَةً. وَهَؤُلَاءِ أَغْلَظُ النَّاسِ حِجَابًا عَنْ فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ"[١]

---

[١] مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٠-٥١)

وقال: "وَإِذَا كَانَ الله قَدْ ذَمَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ إلَّا تِلَاوَةً **دُونَ فَهْمِ مَعَانِيهِ** كَمَا ذَمَّ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ دَلَّ عَلَى أَنَّ كِلَا النَّوْعَيْنِ مَذْمُومٌ: الْجَاهِلُ الَّذِي **لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَ النُّصُوصِ** وَالْكَاذِبُ الَّذِي يُحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ ... فَعُلِمَ أَنَّ اللهَّ **ذَمَّ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَلَا يَتَدَبَّرُونَهُ وَلَا يَعْقِلُونَهُ** كَمَا صَرَّحَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ"[1]

- وقال أيضا: "وَالْإِنْسَانُ يَقْرَأُ السُّورَةَ مَرَّاتٍ حَتَّى سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَيَظْهَرُ لَهُ فِي أَثْنَاءِ الْحَالِ **مِنْ مَعَانِيهَا مَا لَمْ يَكُنْ خَطَرَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ** حَتَّى كَأَنَّهَا تِلْكَ السَّاعَةُ نَزَلَتْ؛ **فَيُؤْمِنُ بِتِلْكَ الْمَعَانِي وَيَزْدَادُ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ** وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي كُلِّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِتَدَبُّرِ بِخِلَافِ مَنْ قَرَأَهُ مَعَ الْغَفْلَةِ عَنْهُ"[2]

- ويقول أيضا: "وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ الْمُؤْمِنُ إذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ زَادَ فِي قَلْبِهِ **بِفَهْمِ الْقُرْآنِ وَمَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ** مِنْ عِلْمِ الْإِيمَانِ مَا لَمْ يَكُنْ؛ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعِ الْآيَةَ إلَّا حِينَئِذٍ وَيَحْصُلُ فِي قَلْبِهِ مِنْ الرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ وَالرَّهْبَةِ مِنْ الشَّرِّ مَا لَمْ يَكُنْ؛ فَزَادَ عِلْمُهُ بِاللهَّ وَمَحَبَّتُهُ لِطَاعَتِهِ **وَهَذِهِ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ**"[3].

- وقال أيضا: "وما أوتي عبدٌ بعد الإيمان أفضلَ من **الفهم عن الله ورسوله**"[4].

- وقال في قوله تعالى {الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً}: "وهذا يتضمن معنيين.

أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده، وعجائب قدرته.

---

[1] مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٣٨)

[2] مجموع الفتاوى (٧/ ٢٣٦)

[3] مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٨)

[4] الداء والدواء (١/ ٣٣٨)

والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن **فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به**. وهذا الغطاء للقلب أولا، ثم يسري منه إلى العين"[1].

- وقال ابن كثير: "وَتَرْكُ **تَدَبُّرِهِ وَتَفْهُّمِهِ** مِنْ هُجْرَانِهِ"[2].
- وقال رشيد رضا: "وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ **إِلَّا مَعَانِيَهُ**، وَلَوْلَا الْمَعْنَى لَمْ يَجُزِ التَّكَلُّمُ بِلَفْظٍ لَا مَعْنَى لَهُ"[3].
- وقال الشنقيطي: "وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِتَدَبُّرِ آيَاتِ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَيْ تَصَفُّحِهَا **وَتَفَهُّمِهَا، وَإِدْرَاكِ مَعَانِيهَا وَالْعَمَلِ بِهَا**، فَإِنَّهُ مُعْرِضٌ عَنْهَا، غَيْرُ مُتَدَبِّرٍ لَهَا فَيَسْتَحِقُّ الْإِنْكَارَ وَالتَّوْبِيخَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَاتِ، إِنْ كَانَ اللهُ أَعْطَاهُ فَهْمًا يَقْدِرُ بِهِ عَلَى التَّدَبُّرِ ... وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ **تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمَهُ وَتَعَلُّمَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ، أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْمُسْلِمِينَ** ... فَإِعْرَاضُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ عَنِ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللهِ **وَتَفَهُّمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ** وَبِالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ الْمُبَيِّنَةِ لَهُ، **مَنْ أَعْظَمِ الْمُنَاكِرِ وَأَشْنَعِهَا، وَإِنْ ظَنَّ فَاعِلُوهُ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى**"[4].
- ويقول الشيخ الخضير: "فالمطلوب من القراءة الفائدة العظمى وهي **التفقه**، فإذا وجد التفقه تبعاً لهذه القراءة صار مدحا، وإذا خلت هذه القراءة عن **التفقه** والاستنباط والتدبر والاعتبار والعمل **صارت ذما**، وحينئذٍ تكون هذه من النعم التي لم تشكر ... القرآن **لم ينزل لأجل أن يقرأ مجرد قراءة مجردة عن الفائدة والانتفاع بها**، فضلاً عن كونه يتأكل به؛ أنزل دستور عمل، تحفظ فيه حدود القرآن بإقامتها"[5].

---

[1] التفسير القيم (ص: ٣٦٨)

[2] تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٨)

[3] تفسير المنار (٣/ ١٤٩)

[4] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٥٧)

[5] شرح الموطأ (٢٨/ ١٨)

الوهم الثاني: القراءة السريعة بلا تفهم أعظم أجرا

(التكثير أم التحسين؟)

هذا سؤال يسأله كثير من الناس لاسيما في المواطن الفاضلة كرمضان وغيرها، يقولون: نقرأ بسرعة أم نقرأ ببطء ونجتهد في التفهم والتدبر؟

فنقول: المطلوب التكثير مع التحسين، فتقرأ أحسن قراءة يجتمع فيها اللسان والفكر والقلب وتجتهد في أن يكون ذلك لأكبر قدر ممكن من الآيات والسور، فمن يقرأ أحسن قراءة لمدة أربع ساعات أفضل ممن يتفق معه في الإحسان لكنه يقرأ ثلاث ساعات.

لكن إن تعارضا، فالأصل تقديم التحسين، ويكفي في ترجيح ذلك أن الفهم فرض، فتلك القراءة التي مع التفهم والتدبر أعظم ولاشك أجرا من تلك العارية عن التفهم والتدبر وإن كانت أكثر منها كَمًّا، فما بينهما كما بين الفرض والنفل. فالتفهم والتدبر واجبان، والتلاوة مستحبة، والفرض ولاشك أعظم أجرا من النافلة، ومتى ما انضاف الفرض إلى النافلة زاده أجرا بلاشك.

ويشهد لذلك أدلة كثيرة من القرآن والسنة وعليه جمهور العلماء كما صرح بذلك غير واحد من أهل العلم، ونورد هنا طرفا من ذلك.

أولا: القرآن يوصي بتقديم التحسين على التكثير.

📖 قال الله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء: ١٠٦]. قال الطبري: "لتقرأه على الناس على تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك"[١].

---

[١] تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٥)

وقال ابن الجوزي: "على تؤدة وترسل **ليتدبروا معناه**"[1]

قال الشنقيطي: "(على مكث) أي: **(مَهَلٍ وتُؤدة وتثبُّت)**، وذلك يدل على أنَّ **القرآن لا ينبغي أن يُقرأ إلا كذلك**، وقد أمر تعالى بها يدل على ذلك في قوله: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}، ويدل لذلك أيضاً قوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً}"[2]

📖 وقال تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: ٤]. التَّرْتِيلِ فِي الْقِرَاءَةِ، أَيْ: تَبْيِينُ حُرُوفِهَا **وَالتَّأَنِّي فِي أَدَائِهَا لِيَكُونَ أَدْعَى إِلَى فَهْمِ مَعَانِيهَا** ... وَالْأَمْرُ بِذَلِكَ **إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوُجُوبِ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا**[3].

وقال ابن عباس:"بينه تبيينا" ... وعن مجاهد: **"ترسل فيه ترسيلا"** ... وعن الحسن: "اقرأه قراءة بينة" ... وعن سعيد: "فسره تفسيرا"[4]. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: "اقْرَأْهُ حَرْفًا حَرْفًا"[5]. وعَن طَاوُسٍ، قَالَ: "تَلَيْتُهُ **حَتَّى تُفَقِّهُهُ**"[6]. وقال ابن كيسان: "**تَفَهّمه** تاليا له"[7]. وقال أبو بكر بن طاهر: "تدبّر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، **وقلبك بفهم معانيه**، وسرك بالإقبال عليه"[8]

[1] زاد المسير (٥/ ٩٧)

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٨٨)

[3] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨٩)

[4] الدر المنثور (١٠/ ١٢٣)

[5] تفسير القرطبي (١٩/ ٣٧)

[6] مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٤٩١)

[7] الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٦٠)

[8] الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٦٠)

وقال ابن عطية: "معناه في اللغة **تمهل** ... والمقصد أن يجد الفكر فسحة **للنظر وفهم المعاني**، وبذلك يرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة"[1]

وقال القرطبي: "أَيْ لَا تَعْجَلْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بَلِ **اقْرَأْهُ فِي مَهَلٍ وَبَيَانٍ مَعَ تَدَبُّرِ الْمَعَانِي** ... وَالتَّرْتِيلُ التَّنْضِيدُ وَالتَّنْسِيقُ وَحُسْنُ النِّظَامِ"[2]. وقال ابن عبد البر: "وَالتَّرْتِيلُ **التَّمَهُّلُ وَالتَّرَسُّلُ** الَّذِي يَقَعُ منه التدبر"[3]

وقال القاسمي: "واستدل بالآية {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} على أن الترتيل والتدبُّر، مع قلة القراءة **أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها**، لأن المقصود من القرآن فهمه وتدبُّره، والفقه فيه، والعمل به"[4]

وقال صديق حسن: "والمقصود من الترتيل إنما هو **حضور القلب عند القراءة** لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان"[5]

وقال الشيخ أسامة سليمان: "أي: اقرأ القرآن مرتلاً مترسلاً، على مهل، **وتدبر ما تقرأ، فالتعجل بقراءته ليس من السنة**، كان النبي عليه الصلاة والسلام يقيم الحروف، ويمدها، **ولا يكن همك آخر السورة بقدر ما يكون همك هو التدبر والتأمل**"[6]

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٨٧)

[2] تفسير القرطبي (١٩/ ٣٧)

[3] الاستذكار (٢/ ١٨١)

[4] محاسن التأويل (٩/ ٣٤١)

[5] فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ٣٨٢)

[6] تفسير القرآن الكريم – أسامة سليمان (١٧/ ٤)

ثانيا: النبي (ﷺ) يوصي بتقديم التحسين على التكثير بلسان الحال والمقال.

سُنَّته (ﷺ) القولية {الأقوال}:

١. مَرَّ بنا **أنه** (ﷺ) **قد نهى** عن قراءة القرآن في أقل من ثلاثة أيام، ونهى عن الاسترسال في العبادة التي لا فهم معها؛ وكان يشدد على القارئ في فهم ما يقرأ لكيلا يقع في خطأ، وأنكر تقديم الناس للأجمل صوتا رغم علمهم أنه الأقل فهما وفقها.

٢. ويُذَكِّر النبي (ﷺ) الأمة بأن **قارىء القرآن في مناجاة مع الله**؛ فينبغي أن تليق تلك المناجاة بالله تفهما وخشوعا وحضورا للقلب؛ فقد خرج رسول الله (ﷺ) على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال: «إِنَّ الْمُصَلِّيَ **يُنَاجِي رَبَّهُ** فَلْيَنْظُرْ **مَا** يُنَاجِيهِ بِهِ وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ»[1]، وفي رواية: "فلينظر **كيف** يناجيه؟"[2]، وفي رواية: "فلينظر **بم** يناجيه"[3]، وفي رواية أخرى: "فلينظر أحدكم **ما يقول في صلاته**"[4]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ قُلْتُ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، أَيَّ شَيْءٍ يَنْوِي **بِقِرَاءَتِهِ** وَصَلَاتِهِ؟ قَالَ: «يَنْوِي أَنَّهُ **يُنَاجِي رَبَّهُ**»[5]

---

[1] السلسلة الصحيحة (٤/ ١٣٣)

[2] صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٣٢٠)

[3] صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٣٩٤)

[4] صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ١٩١)

[5] تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (١/ ١٩٩)

وقال الغزالي: "وقيل لبعضهم: (إذا قرأت القرآن، تحدث نفسك بشيء)، فقال: **(أو شيء أحب إلي من القران حتى أحدث به نفسي)**. وكان بعض السلف إذا قرأ آية **لَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ فِيهَا أَعَادَهَا ثَانِيَةً**"[1]

٣. وقال (ﷺ): "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ"[2]. فقوله: "لا تغلوا فيه" أي: لا تبالغوا في تلاوته بسرعة في أقصر مدة، فإن ذلك **ينافي التدبر** غالبا[3]. وقال الصنعاني: "ولعل المراد بالغلو المبالغة في تلاوته **والمسارعة في ختمه**"[4]، وقال المناوي: "(ولا تغلوا فيه) تجاوزوا حده من حيث لفظه أو معناه بأن تتأولوه بباطل أو المراد **لا تبذلوا جهدكم في قراءته وتتركوا غيره من العبادات**"[5]

٤. عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»[6]، قال ابن كثير: "ومعنى الحديث أنه –عليه السلام– أرشد وحضَّ أمته على تلاوة القرآن، **إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له،** لا في حال شغلها وملالها؛ لإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك"[7]

[1] إحياء علوم الدين (١/ ٢٨١)
[2] مسند أحمد ط الرسالة (٢٤/ ٢٨٨) وصححه ابن حجر، الأرناؤوط.
[3] تفسير ابن كثير (١/ ٨٣)
[4] التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٦٠٨)
[5] فيض القدير (٢/ ٦٤)
[6] صحيح البخاري (٦/ ١٩٨)
[7] فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٢٦٩)

٥. وأخبر ابن كثير أن في ما ذكره ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه} [القيامة: ١٦] "دليلٌ على استحباب **ترتيل القراءة والترسُّل فيها**؛ من غير هذرمة ولا سرعة مفرطة، **بل بتأمل وتفكر**"[١].

٦. وفي قول الرسول (ﷺ) (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حَسَن الصوت ...) دليل على استحباب القراءة بالتمهل والتفهم والتدبر؛ حيث يقول ابن هُبَيْرَة: "(لنبيٍ) أشد الخلق **فهمًا** لكلام ربه عز وجل **وهو يقرأه عن فهم له وتدبر فيه** فيظهر ذلك التدبر، وفهم تلك المعاني على قراءته وفي صوته، فيكون الله جل جلاله أشد أذنا؛ لأنه يتلو كلام ربه عن فهم له بصوت حسن، فإذا سمعه السامع **أشار له حسن الترتيل إلى فهم** لم يحصل له عند غير تلك التلاوة"[٢]

سُنتّه (ﷺ) العملية {الأحوال}:

١. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "لَا أَعْلَمُ رَسُولَ الله (ﷺ) **قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ**، وَلَا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ"[٣]. وعن النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، قال الشيخ الألباني: "**وهو الحق** إن شاء الله تعالى"[٤].

٢. وكانت قراءته (ﷺ) الشخصية **مترسلة**؛ فعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ

---

[١] فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٢٣٥)

[٢] الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ١٦٤)

[٣] أخرجه مسلم (١٦٩/٢)

[٤] صفة صلاة النبي (ﷺ) (٥١١/٢)

عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، **يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ**"[1]. والترسل في الكلام عند العرب معناه: "التَّوَقُّر **والتفهمُ** وَالتَّرَفُّقُ مِنْ غَيْرِ أَن يَرْفَعَ صَوْتَهُ شَدِيدًا"[2].

قال النووي: "فِيهِ **اسْتِحْبَابُ** هَذِهِ الْأُمُورِ **لِكُلِّ قَارِئٍ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا** وَمَذْهَبُنَا اسْتِحْبَابُهُ **لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ وَالْمُنْفَرِدِ**"[3].

ويؤكد العثيمين أن القراءة لم تكن مترسلة بمعنى (بطيئة دونها تفهم أو تدبر)؛ بل كان الهدف من الترسل التفهم والتدبر؛ فيقول: "فجمع (ﷺ) بين القراءة، وبين الذكر، وبين الدعاء، **وبين التفكر؛** لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوّذ عند التعوذ، ويسبح عند التسبيح، لا شك أنه **يتأمل قراءته ويتفكر فيها،** فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر؛ **قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً**"[4]

٣. وعن عائشة قالت: "كان رسول الله (ﷺ) يقوم ليلة التمام فيقرأ بسورة البقرة وآل عمران والنساء، لا يمر بآية فيها **استبشار** إلا دعا الله سبحانه وتعالى ورغب، ولا يمر بآية فيها **تخويف** إلا دعا الله تعالى واستعاذ"[5]

٤. وقال ابن القيم: "وَكَانَ ﷺ يُرَتِّلُ السُّورَةَ **حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا**"[6]

---

[1] صحيح مسلم (١/ ٥٣٦)

[2] لسان العرب (١١/ ٢٨٣)

[3] شرح النووي على مسلم (٦/ ٦٢)

[4] شرح رياض الصالحين (٢/ ٩٤)

[5] فضائل القرآن للقاسم بن سلام (١/ ١٦٧)

[6] زاد المعاد (١/٣٢٦)، وصححه الألباني في صفة الصلاة (٢/٥٦٢)؛ وقال: "وكان ﷺ – كما أمره الله تعالى – يرتل القرآن ترتيلاً؛ **لا هَذّاً، ولا عَجَلَةً؛** بل قراءة مفسرة؛ حرفاً حرفاً، حتى كان يرتل السورة؛ حتى تكون أطولَ مِنْ أطولَ منها"

والتَّرْتِيلُ فِي الْقِرَاءَةِ: **التَّرَسُّلُ** فِيهَا وَالتَّبْيِينُ مِنْ غَيْرِ بَغْيٍ ... **والتأني فِيهَا والتّمهُّلُ** وَتَبْيِينُ الْحُرُوفِ وَالْحَرَكَاتِ[1]. قال الباجي: "يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ **يَسْتَعْمِلُ التَّرْتِيلَ فِي قِرَاءَتِهَا لِلتَّدَبُّرِ** وَلِامْتِثَالِ قَوْلِهِ {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا} [المزمل: ٤]"[2]

٥. عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ - **فَرَجَّعَ فِيهَا** (وفي رواية: **قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ**)»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ: يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغَفَّلٍ، وَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ، يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ قَالَ: آآ آثَلاَثَ مَرَّاتٍ[3].

والترجيع هُوَ تَقَارُبُ ضُرُوبِ الْحَرَكَاتِ فِي الْقِرَاءَةِ **وَأَصْلُهُ التَّرْدِيدُ** وَتَرْجِيعُ الصَّوْتِ **تَرْدِيدُهُ فِي الْحلق** ... ويَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا؛ أَنَّ ذَلِكَ حَدَثَ مِنْ هَزِّ النَّاقَةِ. وَالْآخَرُ؛ أَنَّهُ **أَشْبَعَ الْمَدَّ فِي مَوْضِعِهِ** فَحَدَثَ ذَلِكَ. وَهَذَا الثَّانِي أَشْبَهُ بِالسِّيَاقِ ... وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ فِي الترجيع **قدرا زَائِدا على الترتيل**[4].

وَقَدْ ثَبَتَ التَّرْجِيعُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ... مِنْ حَدِيثِ أُمِّ هَانِئٍ: "كُنْتُ أَسْمَعُ صَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ وَأَنَا نَائِمَةٌ عَلَى فِرَاشِي يُرَجِّعُ الْقُرْآنَ"[5].

---

[1] لسان العرب (١١/ ٢٦٥)

[2] المنتقى شرح الموطإ (١/ ٢٤٣)

[3] صحيح البخاري (٩/ ١٥٧) ، (٦/ ١٩٥)

[4] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٩٢)

[5] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٩٢)، وحَسَّنَه الألباني في أصل صفة الصلاة (٢/٥٦٨)

وَفِي الْحَدِيثِ **مُلَازَمَتُهُ ﷺ لِلْعِبَادَةِ** لِأَنَّهُ حَالَةَ رُكُوبِهِ النَّاقَةَ وَهُوَ يَسِيرُ لَمْ يَتْرُكِ الْعِبَادَةَ بِالتِّلَاوَةِ وَفِي جَهْرِهِ بِذَلِكَ إِرْشَادٌ إِلَى أَنَّ **الْجَهْرَ بِالْعِبَادَةِ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَفْضَلَ** مِنَ الْإِسْرَارِ وَهُوَ عِنْدَ التَّعْلِيمِ وايقاظ الغافل وَنَحْو ذَلِك[1].

٦. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ الله (ﷺ) **يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ،** يَقُولُ: {بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ثُمَّ يَقِفُ {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ثُمَّ يَقِفُ، يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً، وَكَانَ يَقْرَؤُهَا: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}"[2]، وفي رواية: "حَرْفًا حَرْفًا، **قِرَاءَةً بَطِيئَةً**"[3]، قال الألباني: "**وهذا مطلق غير مقيد** بـ: {الفَاتِحَة}، وإنما تلتها على سبيل المثال؛ لا على طريق التحديد"[4]

٧. عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ (ﷺ)؟ فَقَالَ: «**كَانَتْ مَدًّا**»، ثُمَّ قَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: ١] يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ[5]. قال السندي: "يمد صَوته مدا أَي يُطِيل الْحُرُوف الصَّالِحَة للإطالة يَسْتَعِين بهَا على **التدبر والتفكر وتذكير من يتَذَكَّر**"[6]

٨. وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءته (ﷺ) فقالت: «لا كسردكم هذا **لو أراد السامع أن يعد حروفها لعدها**»[7].

---

[1] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٩٢)

[2] صححه الألباني في الإرواء (٣٤٣)، ومختصر الشمائل (٢٦٩)، وصفة الصلاة (ص: ٩٦)

[3] مسند أحمد ط الرسالة (٤٤/ ٣٢٤) وصححه الأرناؤوط

[4] صفة الصلاة (١/ ٢٩٦)

[5] صحيح البخاري (٦/ ١٩٥)

[6] حاشية السندي على سنن النسائي (٢/ ١٧٩)

[7] تفسير السراج المنير (ص: ٤٩٤٨)، وجاء في مسند أحمد (٢٦٢٠٩) وحَسَّنه المحقق: "يتكلم بكلام **يبينه فصلا، يحفظه من يسمعه**"، فهذا كلامه العادي، ومناجاته للناس، فكيف تتوقعون أن تكون قراءته للقرآن؟

٩. وسئل ابن عباس عن جهر النبي (ﷺ) بالقراءة بالليل، فقال: "كان يقرأ في حجرته قراءة **لو أراد أن يحفظها حافظ فعل**"[١].

١٠. ولقد وصل الأمر إلى أن بعض الصحابة كانوا يحفظون السورة من مجرد سماع قراءته (ﷺ) المترسلة؛ فعَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أُخْتٍ لِعَمْرَةَ، قَالَتْ: «أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ **مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهِ** (ﷺ) يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَا عَلَى الْمِنْبَرِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ»[٢]. وعَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَتْ: «وَمَا أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِلَّا **عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، يَقْرَؤُهَا** كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ»[٣]

١١. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَتْ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) بِاللَّيْلِ، **يَرْفَعُ طَوْرًا وَيَخْفِضُ طَوْرًا**"[٤]

١٢. عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنها قَالَتْ: "كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي هَذَا **وَهُوَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ**"[٥]

١٣. وَعَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) بِاللَّيْلِ؟، فَقَالَ: "كَانَ يُقْرَأُ فِي بَعْضِ حُجَرِهِ، **فَيَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ مَنْ كَانَ خَارِجًا**"[٦]

---

[١] شعب الإيمان (٣/٤٥٣)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٨٩)

[٢] صحيح مسلم (٢/ ٥٩٥)

[٣] صحيح مسلم (٢/ ٥٩٥)

[٤] صَحِيح الْجَامِع (٤٧٦٧)، صفة صلاة (٢/٤٢٠)

[٥] صفة الصلاة (ص: ١٠٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[٦] صحيح موارد الظمآن (٥٤٧)

ثالثا: الصحابة يوصون بتقديم التحسين على التكثير بأقوالهم وأحوالهم.

📖 فقد أنكر ابن مسعود على نهيك بن سنان سرعته في القراءة حين قال: "قرأت **المفصل** البارحة" فقال عبد الله: "هَذًّا كَهَذِ الشعر إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرناء التي يقرأ بهن النبي (ﷺ)"[1].

وقال النووي رحمه الله شارحا: "وهو شدة الإسراع والإفراط في العجلة ففيه النهي عن الهذ، **والحث على الترتيل والتدبر وبه قال جمهور العلماء**"[2]

📖 وقال ابن مسعود: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ فَهُوَ رَاجِزٌ** هَذَّ كَهَذِّ الشِّعْرِ أَوْ نَثَرَ كَنَثْرِ الدَّقَلِ»[3]

📖 وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا، أَتَاهُ فَقَالَ: **قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ أَوْ قَالَ: فِي رَكْعَةٍ.** فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «أَفَعَلْتُمُوهَا؟ لَوْ شَاءَ الله لَأَنْزَلَهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا فَصَّلَهُ لَتُعْطَى كُلُّ سُورَةٍ حَظَّهَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»[4]

📖 قال أبو الدرداء: "إياكم والهذاذين، الذين يهذون القرآن، **يسرعون بقراءته،** فإنما مثل أولئك كمثل الكُنة: لا أمسكت ماء، ولا أنبتت كلأ"[5]

📖 وسئل زيد بن ثابت: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟

قال زيد: حسن ، ولأن أقرأه في **نصف شهر أو عشر** أحب إلي.

وسلني: لم ذلك؟

---

[1] صحيح مسلم (حديث رقم ٨٢٢)

[2] صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ١٠٥)

[3] مختصر قيام الليل (ص: ١٥٦)

[4] فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ١٧٤)

[5] شعب الإيمان (١/ ٤٢٩)

قال: فإني أسألك.

قال زيد: "**لكي أتدبره وأقف عليه**"[1]

📖 أتى أحدهم إلى ابن عباس فقال: "إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ، وَإِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ" فقال ابن عباس: "لأن أقرأ **سورة** من القرآن في ليلة **فأتدبرها وأرتلها أحب إلي** من أن أقرأ القرآن كما تقرأ"[2].

وفي رواية: «لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ **فَأَدَّبَّرُهَا وَأُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ** مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ»[3]

📖 عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّهُ كَانَ **يَكْرَهُ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ**[4].

📖 وذُكِرَ لعائشة – رضي الله عنها – أَنَّ نَاسًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فِي اللَّيْلَةِ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَتْ: "**أُولَئِكَ قَرَءُوا، وَلَمْ يَقْرَءُوا**"[5]

📖 وقال علي رضي الله عنه: "لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا عِلْمَ لَا فِقْهَ فِيهِ، **وَلَا قِرَاءَةَ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا**"[6]

📖 وقال الحسن بن علي: "اقرأ القرآن ما نهاك، **فإذا لم ينهك فليست بقراءة**"[7]

---

[1] موطأ مالك (٢/ ٢٨٠)، التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني (ص: ٧٦)

[2] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨٩)، مفتاح دار السعادة (١/ ٥٥٤)

[3] فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ١٥٧)

[4] فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ١٨٠)

[5] مسند أحمد ط الرسالة (٤١/ ١٥٥)، وصححه الأرناؤوط.

[6] تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٤)، والدارمي في المقدمة (١/ ١٠١) برقم (٢٩٧).

[7] كنز العمال (١/ ٢٧٧٦)

***ومن أحوالهم[1]:**

عَنْ صَالِحٍ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ قَالَ: كُنْتُ جَارًا لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُما، وَكَانَ يَتَهَجَّدُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقْرَأُ الْآيَةَ، ثُمَّ يَسْكُتُ قَدْرَ مَا حَدَّثْتُكَ وَذَاكَ طَوِيلٌ، ثُمَّ يَقْرَأُ، قُلْتُ: لِأَيِّ شَيْءٍ ذَاكَ؟ قَالَ: "**مِنْ أَجْلِ التَّأْوِيلِ يُفَكِّرُ فِيهِ**"

وكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ «يَفْتَتِحُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِالْبَقَرَةِ إِلَى الْمَائِدَةِ، وَبِالْأَنْعَامِ إِلَى هُودٍ، وَيُوسُفَ إِلَى مَرْيَمَ، وَطَهَ إِلَى طسم مُوسَى وَفِرْعَوْنَ وَالْعَنْكَبُوتِ إِلَى ص، وَتَنْزِيلُ إِلَى الرَّحْمَنِ ثُمَّ يَخْتِمُ، يَفْتَتِحُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَخْتِمُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ».

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَفِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، وَمَا يَسْتَعِينُ عَلَيْهِ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا بِالْيَسِيرِ، وَقَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ فَهُوَ رَاجِزٌ هَذَّ كَهَذِّ الشِّعْرِ أَوْ نَثَرَ كَنَثْرِ الدَّقَلِ».

وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ الله عَنْهُ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ.

وَكَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي ثَمَانِ لَيَالٍ.

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ.

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ الله: يَا إِخْوَتِي وِرْدِي وَاللَّهِ وِرْدُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ؛ ثُلُثُ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ"[2]

---

[1] مختصر قيام الليل (ص: ١٤٩)

[2] مختصر قيام الليل (ص: ١٥٥)

رابعا: نَقَل غير واحد أن هذا قول الجمهور وحكى بعضهم الإجماع عليه.

- نقل النووي أن: "النهي عن الهذ، **والحث على الترتيل والتدبر**"، هو قول الجمهور، فقال: "**وبه قال جمهور العلماء**"[1]
- وقال الثعالبي: "**وعماد الأمر التدبّر والتفهّم،** فقلّة القراءة مع التفهّم **أفضل** من كثرتها من غير تفهّم، **وهذا الذي عليه المحقّقون، وهو الذي يدلّ عليه القرآن، وصحيح الآثار،** ولولا الإطالة، لأتينا من ذلك بما يثلج له الصدر ... وبالجملة فالتدبّر والتفهّم هو الذي يحصل معه الإنابة والخشوع، وكل خير"[2]
- وقال الآجري: "والقليل من الدرس للقرآن **مع الفكر فيه وتدبره أحب إلي** من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه **وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين**"[3]
- وقال ابن بطال: "**وأكثر العلماء** يستحبون الترتيل فى القراءة ليتدبره القارئ ويتفهم معانيه"[4].
- وقال ابن الجزريّ: "**والصحيح؛ بل الصواب؛ ما عليه معظم السلف والخلف،** وهو أنَّ الترتيل والتدبُّر مع قلَّة القراءة **أفضل من السرعة مع كثرتها**؛ لأنَّ المقصود من القرآن **فهمُه والتفقُّهُ فيه والعملُ به**، وتلاوتُه وحفظُه وسيلةٌ إلى معانيه"[5]

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ١٠٥)

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ١٣٢)

[3] أخلاق حملة القرآن (ص١٠٩)

[4] شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٢٧٣)

[5] النشر (١/ ١٦٥)

***خامسا: التابعون وتابعوهم بإحسان يوصون أيضا بتقديم التحسين.**

قَالَ عَبَّاسٌ الْحَجْرِيُّ: قُلْتُ لِشُفَيٍّ الْأَصْبَحِيِّ: أَشْكُو إِلَى اللهِ وَإِلَيْكَ أَنِّي كُنْتُ أَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كَذَا وَكَذَا يَعْنِي فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ثُمَّ صِرْتُ لَا أَخْتِمُهُ إِلَّا فِي كَذَا وَكَذَا يَعْنِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ شُفَيٌّ: «**اللهمَّ غُفْرًا، أَعْمَلُ بِمَا فِيهِ، وَأَقْرَأُهُ فِي سَنَةٍ**»[1]

قال الشعبى: "إذا قرأتم القرآن فاقرءوه قراءة تسمعه آذانكم، **وتفهمه قلوبكم،** فإن الأذنين عدل بين اللسان والقلب"[2]

وكان مُحَمَّد بْن كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ يَقُولُ: "لَأَنْ أَقْرَأَ ... سُورَتَي الزَّلْزَلَةِ وَالْقَارِعَةِ فِي لَيْلَةٍ أُرَدِّدُهُمَا **وَأَتَفَكَّرُ فِيهِمَا أَحَبُّ إِلَيَّ** مِنْ أَنْ أَبِيتَ أَهُذُّ الْقُرْآنَ"، ويقول: "فَإِنَّ قِرَاءَةَ عَشْرِ آيَاتٍ **تَتَفَكَّرُ فِيهَا خَيْرٌ** مِنْ مِائَةٍ تَهُذُّهَا"[3]

قال رجل لابراهيم النخعي: إني أختم القرآن كل ثلاث، فقال: "ليتك تختمه كل ثلاثين **وتدري أيَّ شيءٍ تقرأ**"[4].

قال أبو عبيد: "الَّذِي أَخْتَارُ مِنْ ذَلِكَ **أَلَّا تَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ،** لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْكَرَاهَةِ لِذَلِكَ"[5]

وقال ابن أبي جمرة: "والمرغّب فيه التدبّر في القراءة، وإن قلّت، وهو **خير من كثرة القراءة بلا تدبّر**"[1]

---

[1] مختصر قيام الليل (ص: ١٥٨)

[2] شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٢٧٣)

[3] الاستذكار (٢/ ٤٧٨)

[4] العقد الفريد (٦/ ٥٩)

[5] فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: ١٨٣)

وكره الإمام أحمد **السُّرْعَةَ فِي الْقِرَاءَةِ**، قَالَ حَرْبُ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنْ السُّرْعَةِ فِي الْقِرَاءَةِ **فَكَرِهَهُ** إلَّا أَنْ يَكُونَ لِسَانُ الرَّجُلِ كَذَلِكَ أَوْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَرَسَّلَ، قِيلَ: فِيهِ إثْمٌ؟ قَالَ أَمَّا الْإِثْمُ فَلَا أَجْتَرِئُ عَلَيْهِ[2]. وقَالَ أَحْمَدُ: "يُحَسِّنُ الْقَارِئُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ وَيَقْرَؤُهُ بِحُزْنٍ **وَتَدَبُّرٍ**"[3]

وقال ابن الجوزي: "وقد لبس عَلَى قوم بكثرة التلاوة فهم يهذون هَذًّا **من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة**، وَقَدْ روى عَنْ جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن فِي كل يوم أَوْ فِي كل ركعة، وهذا يكون نادرا منهم ومن داوم عَلَيْهِ فإنه وان كان جائزا، إلا أن **الترتيل والتثبت أحب إِلَى العلماء**"[4]

وقال النووي: "وَاتَّفَقُوا عَلَى **كَرَاهَةِ الْإِفْرَاطِ فِي الْإِسْرَاعِ** وَيُسَمَّى الْهَذَّ، قَالُوا: **وَقِرَاءَةُ جُزْءٍ بِتَرْتِيلٍ أَفْضَلُ مِنْ قراءة جزءين فِي قَدْرِ ذَلِكَ الزَّمَنِ بِلَا تَرْتِيلٍ**. قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالتَّرْتِيلُ مُسْتَحَبٌّ لِلتَّدَبُّرِ وَلِأَنَّهُ أَقْرَبُ إلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّوْقِيرِ **وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ**؛ وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ التَّرْتِيلُ لِلْأَعْجَمِيِّ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ"[5]

قال النوويّ: "اعلم أنّ قراءة القرآن آكد الأذكار، وأفضلها فينبغي المداومة عليها فلا يخلو عنها يوما وليلة، ويحصل له أصل القراءة بقراءة الآيات القليلة، **والمطلوب القراءة بالتدبّر والخشوع والخضوع**"[6]

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ١٣٣)

[2] الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٣١١)

[3] الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٣١١)

[4] تلبيس إبليس (ص: ١٢٨)

[5] المجموع (٢/ ١٩٠-١٩١)

[6] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ١٢٥)

- قال ابن عقيل: "وتكون قراءته مرتلة محققة؛ **ليفهم السامع معاني القرآن**"[1]
- قال ابن عطية: "التدبر من أسباب إنزال القرآن، فالترتيل إذاً أفضل من الهذِّ إذ **التدبر لا يكون إلا مع الترتيل**"[2]
- وقال ابن رشد الجَد: "ولا يقرأ إلا على الوجه الذي **يخشع القلب، ويزيد في الإيمان، ويشوق إلى ما عند الله**"[3]
- قال الإمام الشوكاني: "الله إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، **لا لمجرد التلاوة بدون تدبر**"[4].
- قال ابن العربي تعليقا على إيراد مالك لحديث (مَكَثَ ابنُ عُمَرَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا): "أراد به مالك، رضي الله عنه، أن يبيِّن مسألةً اختلف الناس فيها وهي إذا قرأ القرآن هل يقرؤه كذلك ذكراً باللسان دون تتبع بالبيان، **أم لا يرحل عن آية حتى يحكمها ذكراً ودراية**. فنبّه مالك، رضي الله عنه، على ذلك بفعل ابن عمر رضي الله عنهما في سورة البقرة. وقد قال الله تعالى {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ}. قالوا: **يذكر الحرف ويعلم معناه ويعمل به** فهذا هو حق التلاوة. وقالوا أيضاً في قوله تعالى {لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ}: معناه ليس عندهم من القرآن إلا **الذكر خاصة باللسان**، وأعظم ما يلقى به العبد ربّه يوم القيامة **قرآن جُمِع ولم يُعْمِل به**"[5]

---

[1] التذكرة في الفقه (ص: ٥٠)

[2] المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٣)

[3] المقدمات الممهدات (٣/ ٤٦٣)

[4] فتح القدير (٤/ ٤٩٤)

[5] القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: ٤٠٤)

- وقال ابن عبد البر معلقا على حديث تعلم ابن عمر البقرة في ثماني سنين: "إِنَّهُ كَانَ يَتَعَلَّمُهَا **بِأَحْكَامِهَا وَمَعَانِيهَا وَأَخْبَارِهَا** فَكَذَلِكَ طَالَ مُكْثُهُ فِيهَا"[1]
- قال الإمام القرطبي: "الترتيل أفضل من الهذِّ، إذ **لا يصح التدبر مع الهذ**"[2]
- وَقَالَ بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ: "إِنَّمَا الْآيَةُ **مِثْلُ التَّمْرَةِ** كُلَّمَا مَضَغْتَهَا اسْتَخْرَجْتَ حَلَاوَتَهَا"، فَحُدِّثَ بِهِ أَبُو سُلَيْمَانَ فَقَالَ: "صَدَقَ إِنَّمَا يُؤْتَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَنَّهُ **إِذَا ابْتَدَأَ السُّورَةَ أَرَادَ آخرها**"[3]. وقال الزركشي: "**تُكْرَه قراءة الْقُرْآنِ بِلَا تَدَبُّرٍ**"[4]
- وتحدث الْحَلِيمِيّ عن صور تعظيم القرآن؛ فذكر منها: "**إِحْضَارُ الْقَلْبِ إِيَّاهُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ وَتَكْرِيرُ آيَاتِهِ وَتَرْدِيدُهَا وَاسْتِشْعَارُ مَا يُهَيِّجُ الْبُكَاءَ مِنْ مَوَاعِظِ اللهِ وَوَعِيدِهِ فِيهَا**، ... وَمِنْ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ الْوُقُوفُ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَمِنْهَا الِاعْتِرَافُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا يُقَرِّرُ عِبَادَهُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهَا السُّجُودُ فِي آيَاتِ السُّجُودِ ... وَمِنْهَا أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا أَنْ **يُرَتِّلَ الْقِرَاءَةَ وَلَا يَهُذُّهُ هَذًّا**. وَمِنْهَا **أَنْ لَا يَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ**"[5]
- ويقول ابن رجب: "وكان السلف يوصون **بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه**، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان، أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان"[6]

---

[1] الاستذكار (٢/ ٥٠٢)

[2] تفسير القرطبي (١٨/ ١٢٦)

[3] البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٧١)

[4] البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٥٥)

[5] شعب الإيمان (٣/ ٣٢٧)

[6] مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٥٢)

- وقال الغزالي: "أكثر الناس منعوا من فهم القرآن لأسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم، فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن، أولها: أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكّل بالقراء **ليصرفهم عن معاني كلام الله تعالى،** فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف، يخيل إليهم أنه لا يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف، **فأنى تنكشف له المعاني؟** وأعظم ضحكة الشيطان لمن كان مطيعا لمثل هذا التلبيس"[1]
- ثم قال أيضا: "وتلاوة القرآن حق تلاوته، أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، **وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار والائتمار.** فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ"[2]
- وقال: "فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَهُ الْعَبْدُ **وَيُرَدِّدَ الْآيَةَ الَّتِي هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّفَكُّرِ فِيهَا** مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ. **فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتفَكُّرٍ وَفَهْمٍ، خَيْرٌ مِنْ خَتْمَةٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَفَهْمٍ**"[3]
- قال الحكيم: "وَدَلَّهم على الترتيل والتؤدة والتدبر؛ ليصل إِلَيْهِم نفع ذَلِك، **فأفضلهم قِرَاءَة أعقلهم عَنهُ.** فَمن أسْرع الْقِرَاءَة وعقل عَنهُ، كَانَ فِي نور عَظِيم ومنزلة عالية؛ لفضل نوره. وَمن قصر عن ذَلِك، **فالتفكر والتدبر خير لَهُ وأنفع**"[4]

---

[1] الإحياء (١/ ٢٩٢)

[2] الإحياء (١/ ٢٩٥)

[3] الإحياء (٤/ ٤٣١)

[4] نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٢/ ٢٨٧)

- وكان يتحدث عن حُرْمَة الْقُرْآن وآداب تلاوته، فذكر منها: "أَأن يقرأه على **تؤدة وَترسل وترتيل**، وَأَن يشْتَغل بِهِ ذهنه وفهمه **حَتَّى يعقل مَا بِهِ يُخَاطب**، وَأَن يقف على آيَة الْوَعْد فيرتغب إِلَى الله تَعَالَى ويسأله من فَضله، وَأَن يقف على آيَة الْوَعيد فيستجير بِاللهَّ مِنْهُ، وَأَن يقف على أَمْثَاله فيمتثلها"[1]

- وقال نصير الدين السامريُّ: "والتفهُّم له والاعتبار به مع قلة القراءة **أفضلُ من إدراجه بغير تفهُّم** ... وليجلَّ كتاب الله تعالى العزيز أن يتلى إلا بسكينة ووقار وترتيل وحضور الهمة وما يوقن أنَّ الله يرضى به، ويقرِّب منه؛ **مع إحضار الفهم لذلك**"[2].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتفهم فيه والاعتبار فيه مع قلة القراءة، **أفضل من إدراجه بغير تفهم**"[3]

- وقال رحمه الله: "فَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَالْأَقْدَارِ عَلَى قَدْرِ **مُعَامَلَةِ الْقُلُوبِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ**، فَكَمْ مِمَّنْ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَآخَرُ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ وَآخَرُ لَا يُفْطِرُ وَغَيْرُهُمْ أَقَلُّ عِبَادَةً مِنْهُمْ وَأَرْفَعُ قَدْرًا فِي قُلُوبِ الْأُمَّةِ!"[4]

- يقول ابن القيم: "**فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلب من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر والتفكر** فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين ... فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا.

---

[1] نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٣/ ٢٥٣)

[2] المستوعب (١/ ٢٠٢)

[3] المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٥)

[4] مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٨)

فَإِذا قَرَأَهُ بتفكر حَتَّى مر بِآيَة وَهُوَ مُحْتَاجا إِلَيْهَا فِي شِفَاء قلبه كررها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة. **فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى الى حُصُول الايمان** وذوق حلاوة الْقُرْآن. وَهَذِه كَانَت عَادَة السّلف يردد أحدهم الاية الى الصَّباح وَقد ثَبت عَن النَّبِي أَنَّه قَامَ بِآيَة يُرَدِّدهَا حَتَّى الصَّباح وَهِي قَوْله {إِن تُعَذبهُمْ فَإِنَّهُم عِبَادك وَإِن تغْفر لَهُم فَإنَّك أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم}. فقراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب ... وَلِهَذَا أنْزَلَ الله الْقُرْآن ليتدبر ويتفكر فِيهِ وَيعْمل بِهِ لَا لمُجَرّد تِلَاوَته مَعَ الإعراض عَنهُ"[1]

- وقال ابن القيم: "وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْأَفْضَلِ مِنَ التَّرْتِيلِ وَقِلَّةِ الْقِرَاءَةِ، أَوِ السُّرْعَةِ مَعَ كَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ. **فَذَهَبَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُهُمَا** إِلَى أَنَّ التَّرْتِيلَ وَالتَّدَبُّرَ مَعَ قِلَّةِ الْقِرَاءَةِ أَفْضَلُ مِنْ سُرْعَةِ الْقِرَاءَةِ مَعَ كَثْرَتِهَا.

وَاحْتَجَّ أَرْبَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فَهْمُهُ وَتَدَبُّرُهُ، وَالْفِقْهُ فِيهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَتِلَاوَتُهُ وَحِفْظُهُ وَسِيلَةٌ إِلَى مَعَانِيهِ ... قَالُوا: وَلِأَنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَفَهْمُ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ هُوَ الَّذِي يُثْمِرُ الْإِيمَانَ، وَأَمَّا مُجَرَّدُ التِّلَاوَةِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ، فَيَفْعَلُهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ ... قَالُوا: **فَكَمَا أَنَّ مَنْ أُوتِيَ إِيمَانًا بِلَا قُرْآنٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ أُوتِيَ قُرْآنًا بِلَا إِيمَانٍ، فَكَذَلِكَ مَنْ أُوتِيَ تَدَبُّرًا، وَفَهْمًا فِي التِّلَاوَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ أُوتِيَ كَثْرَةَ قِرَاءَةٍ وَسُرْعَتَهَا بِلَا تَدَبُّرٍ.** قَالُوا: وَهَذَا هَدْيُ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَإِنَّهُ كَانَ يُرَتِّلُ السُّورَةَ حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا، وَقَامَ بِآيَةٍ حَتَّى الصَّبَاحِ.

---

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٨٧)

وَقَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ الله: **كَثْرَةُ الْقِرَاءَةِ أَفْضَلُ**، وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1]. **قَالُوا**: وَلِأَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ[2]، وَذَكَرُوا آثَارًا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ فِي كَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ.

وَالصَّوَابُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ ثَوَابَ قِرَاءَةِ التَّرْتِيلِ وَالتَّدَبُّرِ أَجَلُّ وَأَرْفَعُ قَدْرًا، وَثَوَابَ كَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ أَكْثَرُ عَدَدًا، فَالْأَوَّلُ: كَمَنْ تَصَدَّقَ بِجَوْهَرَةٍ عَظِيمَةٍ، أَوْ أَعْتَقَ عَبْدًا قِيمَتُهُ نَفِيسَةٌ جِدًّا، وَالثَّانِي: كَمَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ، أَوْ أَعْتَقَ عَدَدًا مِنَ الْعَبِيدِ قِيمَتُهُمْ رَخِيصَةٌ"[3]. ثم أورد من الأدلة ما يدعم به قوله.

- وقال أيضا: "الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، حتى يشغله عن **المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه**، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به"[4]
- وقال أيضا: "قِرَاءَةُ سُورَةٍ **بِتَدَبُّرٍ وَمَعْرِفَةٍ وَتَفَهُّمٍ وَجَمْعِ الْقَلْبِ** عَلَيْهَا **أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى** من قراءة ختمة سردا"[5]

---

[1] قلتُ: هل قال (ﷺ): "من قرأ بسرعة" أم قال "من قرأ" ولم يحدد لها نطاقا زمنيا؟ وأين الحسنة المترتبة على الحرف من أجر القيام بفريضة التفهم؟

[2] قلتُ: وقد أورد الترمذي هذا الأثر بصيغة التمريض، وضعفه الألباني في (الضعيفة) وأنكر متنه.

[3] زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٢٧-٣٢٩)

[4] إغاثة اللهفان (١/ ٩٣)

[5] المنار المنيف (ص: ٢٩)

وذكر ابن القيم حديث: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ - أَوْ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ - وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ثم قال: "وَلَيْسَ هَذَا مُرَتَّبًا عَلَى مُجَرَّدِ قَوْلِ اللِّسَانِ. نَعَمْ مَنْ **قَالَهَا بِلِسَانِهِ، غَافِلًا عَنْ مَعْنَاهَا، مُعْرِضًا عَنْ تَدَبُّرِهَا، وَلَمْ يُوَاطِئْ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلَا عَرَفَ قَدْرَهَا وَحَقِيقَتَهَا**، رَاجِيًا مَعَ ذَلِكَ ثَوَابَهَا، حَطَّتْ مِنْ خَطَايَاهُ بِحَسَبِ مَا فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّ **الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُوَرِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ**، فَتَكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالرَّجُلَانِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"[1].

وقال الإمام السيوطي: "**وَتُسَنُّ** الْقِرَاءَةُ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ، **فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَالْمَطْلُوبُ الْأَهَمُّ**، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ"[2].

وقال صديق حسن خان: "وأما الذي يقرأ القرآن ولا يعرف معناه كالعوام فالأجر على تلاوة القرآن ثابت، **لكنه إذا كان يتدبر معانيه ويمكنه فهمها فأجره مضاعف**، وأما أصل الثواب بمجرد التلاوة فلا شك فيه والله سبحانه لا يضيع عمل عامل، وتلاوة القرآن كتابه سبحانه من أشرف الأعمال لفاهم ولغير فاهم، وإذا أضاع أحد ما اشتمل عليه القرآن من الأحكام **أثم من جهة الإضاعة** لا من جهة التلاوة والله أعلم"[3]

---

[1] مدارج السالكين (١/ ٣٣٩)

[2] الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦٨)

[3] فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ٢٧)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "والترتيل أفضل من السرعة، مع تبيين الحروفِ، **وأشدُّ تأثيراً في القلبِ، وأجل قدرا، وأقرب إلى الإجلال، والتوقير، بل قراءة آية بتدبر وتفهم خير من قراءة ختمة، بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن**، وقال تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} وهكذا كانت قراءته (ﷺ) والسلف من بعده، حتى إنه ليردد الآية إلى الصباح، وهذا هو **أصل صلاح القلب** ... وكما أن الأمة متعبدة بفهم معاني القرآن، وإقامة حدوده فهي متعبدة بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه **من غيرِ إسرافٍ: ولا تَعسُّفٍ، ولا تكلُّفٍ، ولا إفراط في مخارج الحروف ونحوها**"[1]

وسُئل الشيخ ابن باز رحمه الله: هل الأفضل للإمام أن يكمل قراءة القرآن في صلاة التراويح؟ فقال: "الأمر في هذا واسع، ولا أعلم دليلا يدل على أن الأفضل أن يكمل القراءة، إلا أن بعض أهل العلم قال: يستحب أن يسمعهم جميع القرآن حتى يحصل للجماعة سماع القرآن كله، ولكن هذا ليس بدليل واضح، **فالمهم أن يخشع في قراءته ويطمئن ويرتل ويفيد الناس ولو ما ختم**، ولو ما قرأ إلا نصف القرآن أو ثلثي القرآن **فليس المهم أن يختم وإنما المهم أن ينفع الناس في صلاته، وفي خشوعه وفي قراءته حتى يستفيدوا ويطمئنوا**، فإن تيسر له أن يكمل القراءة فالحمد لله، وإن لم يتيسر كفاه ما فعل، وإن بقي عليه بعض الشيء؛ لأن **عنايته بالناس وحرصه على خشوعهم وعلى إفادتهم أهم من كونه يختم**، فإذا ختم بهم من دون مشقة وأسمعهم القرآن كله فهذا حسن"[2].

---

[1] حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم (ص: ١٥٣)

[2] مجموع فتاوى ابن باز (١١/ ٣٣٠)

وقال أيضا: "فالأفضل أن يتحرى في قراءته **الخشوع والترتيل والتدبر، وليس المقصود العجلة، بل المقصود أن يستفيد** وينبغي أن يكثر القراءة في رمضان كما فعل السلف رضي الله عنهم، **ولكن مع التدبر والتعقل**، فإذا ختم في كل ثلاث فحسن، وبعض السلف قال: إنه يستثنى من ذلك أوقات الفضائل، وأنه لا بأس أن يختم كل ليلة أو في كل يوم كما ذكروا هذا عن الشافعي، وعن غيره، ولكن **ظاهر السنة أنه لا فرق بين رمضان وغيره، وأنه ينبغي له أن لا يعجل وأن يطمئن في قراءته**، وأن يرتل كما أمر النبي (ﷺ) عبد الله بن عمرو فقال: «اقرأه في سبع» هذا آخر ما أمره به. وقال: «لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث» ولم يقل إلا في رمضان، فحمل بعض السلف هذا على غير رمضان محل نظر، والأقرب – والله أعلم – أن المشروع للمؤمن أن يعتني بالقرآن **ويجتهد في إحسان قراءته وتدبر القرآن والعناية بالمعاني ولا يعجل، والأفضل أن لا يختم في أقل من ثلاث**، هذا هو الذي ينبغي حسب ما جاءت به السنة، ولو في رمضان"[1].

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: "فالإنسان مأجور على قراءته سواء فهم معناه أم لم يفهم. ولكن **لا ينبغي للمؤمن أن يقرأ قرآناً مكلفاً بالعمل به بدون أن يفهم معناه**؛ فالإنسان لو أراد أن يتعلم الطب مثلاً ودرس كتب الطب فإنه لا يمكن أن يستفيد منها حتى يعرف معناها وتشرح له بل هو يحرص كل الحرص على أن يفهم معناها من أجل أن يطبقها. **فما بالك بكتاب الله سبحانه وتعالى الذي هو شفاء لما في الصدور وموعظة للناس، أن يقرأه الإنسان بدون تدبر وبدون فهم لمعناه؟**

---

[1] مجموع فتاوى ابن باز (١١/ ٣٥١)

وعلى من قرأ القرآن إذا لم يفهم معناه أن يتفهمه من أهل العلم لأن الله **لم ينزل الكتاب العزيز لمجرد تلاوته بل لتدبره والعمل به**. قال الله تبارك وتعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) **وما ضر الناس اليوم إلا أنهم لا يفكرون في معرفة معاني القرآن الكريم إلا قليلاً**، فتجد أكثر المسلمين يقرؤون القرآن تعبداً بتلاوته واحتساباً لأجره لا يتدبرونه ولا يتأملونه ولا يسألون عن معناه فهم والأميون على حدٍ سواء قال الله تبارك وتعالى (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ) **فجعل الله تعالى الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي إلا قراءة جعلهم أميين**. فعلى المرء أن **يتدبر معاني كتاب الله وأن يتعظ بما فيها** حتى يكون القرآن حجةً له لا عليه"[1].

- وقال الشيخ الألباني: "ولم يكن رسول الله (ﷺ) ... **يقرؤه في أقل من ذلك** (أي: أقل من ثلاثة أيام)، **ولنا به أسوة حسنة**. وروي عنه (ﷺ) في كشف ذلك المعنى أنه قال: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) ... **وهذه حجة أخرى في كراهة قراءة القرآن في أقل من ثلاث**؛ لما يخشى من فتور الهمة، وعدم استطاعة المداومة عليها إلا بمشقة؛ كما وقع لعبد الله بن عمرو، حتى كان يقول لما كبر: وددت أني كنت قبلت رخصة رسول الله (ﷺ). فاقبلوا أيها المسلمون! رخصة رسول الله (ﷺ) التي هي من الله تعالى؛ فـ: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه)"[2].

---

[1] فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥/ ٢)

[2] صفة صلاة النبي (ﷺ) (٢/ ٥٢١ ومابعدها)

***ومن أحوال العلماء التي تؤكد تقديمهم للتحسين على التكثير:**

ففي كتاب **التبيان** (ص: ٨٣) عقد النووي رحمه الله فصلا في استحباب ترديد الآية للتدبر، وقال: "وقد بات جماعة من السلف **يتلون آيه واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح**". وفي كتاب **مختصر قيام الليل** (ص: ١٤٨) عَقَدَ الْمَرْوَزِي بَاباً بعنوان **(تَرْدِيدِ الْمُصَلِّي الْآيَةَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، يَتَدَبَّرُ مَا فِيهَا)**، وأورد تحته أخبارا نذكر منها:

- عَنْ مَسْرُوقٍ رَحِمَهُ الله: «كَانَ **يَقْرَأُ الرَّعْدَ** مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ»
- وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ «يَجْعَلُ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ **الْغَاشِيَةِ وِرْدَهُ**»
- وَكَانَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ رَحِمَهُ الله إِذَا قَرَأَ {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} **لَمْ يَكَدْ يَجُزْهَا**، وَيَقُولُ: «يَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ مَا أَمْلَأَكَ لِقُلُوبِ الصَّادِقِينَ»
- وَكَانَ هَارُونُ الْأُسَيْدِيُّ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ لِلتَّهَجُّدِ فَرُبَّمَا رَدَّدَ هَذِهِ الْآيَةَ **حَتَّى يُصْبِحَ** {قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وَيَبْكِي حَتَّى يُصْبِحَ».
- وَرَدَّدَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ الله لَيْلَةً {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨] **حَتَّى أَصْبَحَ**، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ فِيهَا مُعْتَبَرًا، مَا نَرْفَعُ طَرَفًا وَلَا نَرُدُّهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَى نِعْمَةٍ، وَمَا لَا نَعْلَمُهُ مِنْ نِعَمِ اللهِ أَكْثَرُ».
- وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا الْخَوْفُ عَلَيْهِ أَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهِ وَالْخُشُوعُ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ حُيَيٍّ رَحِمَهُ الله، قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ بِـ {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} يُرَدِّدُهَا، ثُمَّ غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ عَادَ فَعَادَ إِلَيْهَا فَغُشِيَ عَلَيْهِ، **فَلَمْ يَخْتِمْهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ**"
- قال أبو سليمان الداراني: "ربما أقوم خمس ليال متوالية **بآية واحدة، أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها!!** ولولا أن الله تعالى يمن علي بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري، لأن لي **في كل تدبر علماً جديدا**، والقرآن لا تنقضي عجائبه!!"[1]

---

[1] تنبيه المغترين (ص: ٢٨٨) واللفظ له، حلية الأولياء (٩/ ٢٦٢).

سادسا: علماء القراءات أنفسهم يوصون بتقديم التحسين على التكثير.

- قال ابن الجزري: "وأحسن بعض أئمتنا فقال:

إنَّ ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجلُّ وأرفعُ قدرًا.

وإنَّ ثواب كثرة القراءة أكثر عددًا.

فالأول كمن تصدَّق بجوهرة عظيمة، أو أعتق عبدًا قيمته نفيسة جدًّا.

والثاني كمن تصدَّق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة"[1]

- وقال أيضا: "والذي ينبغي أن القارئ لا يقصد بتكراره وجه الرواية فقط، **وإنما يقصد التدبر والتفكر وتكثير الأجر** وأن له بكل حرف عشر حسنات"[2].

- وقال رجل لسليم المقرىء رحمه الله: جئتك لأقرأ عليك التحقيق.

فقال سليم: يابن أخي، شهدت حمزة وأتاه رجل في مثل هذا، فبكى وقال: "يابن أخي، **إن التحقيق صون القرآن**، فإن صنته فقد حققته، وهذا هو التشديق"[3]

- وقال أبو جعفر النحاس: "فينبغي لقارىء القرآن إذا قرأ أن **يتفهم ما يقرؤه، ويشغل قلبه به**، ويتفقد القطع والائتناف، ويحرص على أن **يُفْهِم المستمعين** في الصلاة وغيرها"[4]

---

[1] النشر (١/ ١٦٦)

[2] منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص: ١٥)

[3] جمال القراء (ص١٢٥)

[4] القطع والائتناف (١/ ٣٤)

- وقال الدمياطي: "ليعلم: أن طلب حفظ القرآن العزيز والاجتهاد في تحرير النطق بلفظه والبحث عن مخارج حروفه وصفاتها ونحو ذلك وإن كان مطلوبا حسنا، **لكن فوقه ما هو أهم منه وأولى وأتم** وهو فهم معانيه والتفكر فيه والعمل بمقتضاه، والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه"[1]

- وقال عما ينبغي للقاريء: "وأن يكون مستقبلا **متخشعا متدبرا بسكينة** مطرقا رأسه غير متربع وغير جالس على هيئة التكبر وفي الصلاة أفضل مع البكاء والتباكي، ويساعده على ذلك **التدبر،** ويردد الآية له ولغيره ... وإذا مر بآية رحمة سأل الله تعالى من فضله أو آية عذاب استعاذ ... ويقول بعد "وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا" [الإسراء الآية: ١٠٩] اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وبعد {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى الآية: ١] سبحان ربي الأعلى وبعد "بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ" [التين الآية: ٨] بلى وأنا على ذلك من الشاهدين"[2]

---

[1] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: ٢٤)

[2] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: ٢٥)

الوهم الثالث: ضعف القدرة الشخصية على الفهم

والعجيب أن من يقول لك: "لن أتمكن من فهم القرآن"، تجده يطالع في الجريدة مقالا يتحدث عن **"التضخم الاقتصادي وعلاقته بالحد الأدنى للأجور"**، ويجتهد في تفهمه رغم أنه لا يعرف شيئا عن "التضخم الاقتصادي"، فيظل يجاهد في التفهم من خلال السياق حتى يتمكن من معرفة المراد في المقال، بل يصل الأمر أحيانا إلى **الاتصال** بمن يفهم في الاقتصاد من معارفه؛ ليقوم بتفهيمه المراد ببعض فقرات المقال. بل يصل الأمر أحيانا من عمق تفهم المقال، إلى **نقده وإبداء الرأي** حول مضمونه.

ثم يأتي بعد ذلك نفس الشخص؛ **ويزعم أنه لن يتمكن من فهم القرآن**، ويُوهِم نفسه أن قدراته في فهم القرآن محدودة؛ وليس الأمر كذلك أبدا؛ فلا تنقصه مهارات أو خبرات بل تنقصه فقط "الإرادات"، ليس الأمر في كونه لا يستطيع الفهم، بل في أنه "لايريد أن يفهم"

وهذا الإنسان نفسه **لو احتاج لينال ترقية في عمله** لأن يدرس لغة أجنبية، أو يتقن التعامل مع وسيلة تكنولوجية؛ فإنه **لا يدخر وسعا** في تحصيل ما يحتاج إليه للترقية، **ولا يقبل** أن يخبره أحد أنه غير مؤهل لتحصيل تلك الترقية لأن قدراته لا تسعفه في التحقق بمؤهلاتها ومتطلباتها. **ويتحدى مَنْ حوله**، بل يتحدى نفسه، **ويتمكن من تحقيق** أمرٍ كان رصيده من المؤهلات المطلوبة له (صفر).

لقد وهب الله الإنسان من القدرات والمؤهلات ما يتمكن به – إن استعان بالله – من تحقيق كل المرغوبات، والنجاة من كل المرهوبات. لكن تَلَبُّسَه بالمنكرات، قد أفقده الثقة فيما وهبه الله من إمكانيات.

الإنسان حقا ضعيف، حين يغيب عن خاطره أنه لا يستمد القوة من نفسه وإنما يستمدها من قوة القوي سبحانه. **وهو حقا عاجز،** حين يغيب عن خاطره أنه يستمد قدرته بالأساس من قدرة القدير.

نحن جميعا ضعفاء إن لم نستقوِ بالله، وعجزة إن لم نستقدر بالله، وفقراء إن لم نستغنِ بالله. **إن المسألة باختصار أنه لا حول ولا قوة لنا إلا بالله.**

الوهم الرابع: ليس من السهل فهم القرآن

وهذا من أَفْرَى الفِرى ومن التجني على كتاب الله؛ **فقد أَكَّدَّ الله على أن القرآن مُيَسَّر للفهم**؛ ويأبى البعض إلا تعسير ما يسره الله؛ ويشهد لكون القرآن مُيسرا للفهم نصوص من القرآن؛ منها:

أولا: التيسير:

☜ لقد تكرر قول الله تعالى: **{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}** [القمر: ١٧]، أربع مرات في سورة واحدة. وعليه، فلا حجة لأحد في ترك التدبر، وليس علينا تعقيده، فذلك يصرف الناس عنه، وأرى والله أعلم أن الله مَا فَرَضَه لِنُعَقِّدَه على الناس ونَحْبِسَه على فئة بعينها.

قال الطبري: "ولقد سهَّلنا القرآن، بيَّناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن **يتذكر ويعتبر ويتعظ**، وهَوّناه"[١].

وقال ابن القيم: "وتيسيره للذكر يتضمن أنواعا من التيسير:

إحداها: تيسير ألفاظه للحفظ.

الثاني: تيسير **معانيه للفهم**.

الثالث: تيسير **أوامره ونواهيه للامتثال**"[٢].

ويقول ابن عاشور: "وَهَذَا الْيُسْرُ يَحْصُلُ مِنْ جَانِبِ الْأَلْفَاظِ وَجَانِبِ **الْمَعَانِي** ... والادّكار الْمَذْكُور هُنَا ادِّكَارٌ عَنْ سَمَاعِ مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ الْبَالِغَةِ **وَفَهْمِ مَعَانِيهِ والاهتداء بِهِ**"[٣]

---

[١] تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٤)

[٢] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١/ ٣٣١)

[٣] التحرير والتنوير (٢٧/ ١٨٨)

☜ وقال تعالى: {فَإِنَّمَا **يَسَّرْنَاهُ** بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان: ٥٨].

قال ابن كثير: "أَيْ: إِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ سَهْلًا وَاضِحًا بَيِّنًا جَلِيًّا بِلِسَانِكَ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَجْلَاهَا وَأَحْلَاهَا وَأَعْلَاهَا {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}، أَيْ: **يَتَفَهَّمُونَ وَيَعْمَلُونَ**"[1].

قال السعدي: "سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها فتيسر به لفظه **وتيسر معناه**. {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} **ما فيه نفعهم فيفعلونه وما فيه ضررهم فيتركونه**"[2].

☜ وقال تعالى: {فَإِنَّمَا **يَسَّرْنَاهُ** بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مريم: ٩٧]

قال القرطبي: "بَيَّنَّاهُ بِلِسَانِكَ الْعَرَبِيِّ وَجَعَلْنَاهُ سَهْلًا عَلَى مَنْ **تَدَبَّرَهُ وَتَأَمَّلَهُ**"[3].

ويقول السعدي: "يَسر ألفاظه **ومعانيه**، ليحصل المقصود منه والانتفاع به"[4].

وقال الشعراوي: "أي: طوعناه لك حِفْظاً وأداءً **وإلقاء معانٍ**، فأنت تُوظِّفه في المهمة التي نزل من أجلها"[5].

☜ وقد أخبر سبحانه أنه قد أنزل القرآن مُيَسَّرًا لتذكير الإنسان وإحداث الذكرى في قلبه؛ **وحض على تفهمه وتعقله لتحصل تلك الذكرى**، فقال تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا **فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**} [الأنبياء: ١٠]؛ وللعلماء قولان في قوله تعالى {ذكركم}؛ أحدهما أن المراد به **تذكير قلوبكم**، ورَجَّحَه أبو السعود.

---

[1] تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٣)

[2] تفسير السعدي (ص: ٧٧٥)

[3] تفسير القرطبي (١١/ ١٦٢)

[4] تفسير السعدي (ص: ٥٠١)

[5] تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٢٠١)

قال القرطبي: "وَقِيلَ: فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَيْ ذِكْرُ أَمْرِ دِينِكُمْ، وَأَحْكَامِ شَرْعِكُمْ وَمَا تَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، **أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا؟!**"[1]

وقال أبو السعود: "{أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} إنكارٌ توبيخيٌّ فيه بعثٌ لهم على **التدبر في أمر الكتابِ والتأمل فيها في تضاعيفه** من فنون المواعظِ والزواجر"[2]

وقال ابن عاشور: "مَنْ جَاءَهُ مَا بِهِ هَدْيُهُ **فَلَمْ يَهْتَدِ يُنْكَرُ عَلَيْهِ سُوءُ عَقْلِهِ**، وَمَنْ جَاءَهُ مَا بِهِ مَجْدُهُ وَسُمْعَتُهُ **فَلَمْ يَعْبَأْ بِهِ** يُنْكَرُ عَلَيْهِ سُوءُ قَدْرِهِ لِلْأُمُورِ حَقَّ قَدْرِهَا"[3]

ثانيا: التبيين:

وقد وصف الله القرآن بأنه **بَيِّنٌ وواضح في نفسه، ويُبَيِّن غيره ويوضحه أكمل توضيح** في أكثر من (٣٥) مرة[4]؛ نقف مع واحدة منها فقط.

---

[1] تفسير القرطبي (١١/ ٢٧٣)

[2] تفسير أبي السعود (٦/ ٥٨)

[3] التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣)

[4] {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [الشعراء: ٢]، {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [القصص: ٢]، {حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} [الدخان: ١، ٢]، {تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ} [النمل: ١]، {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس: ٦٩]، {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: ١٥]، {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} [النور: ٣٤]، {لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ} [النور: ٤٦]، {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ} [الطلاق: ١٠، ١١]، {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الحديد: ٩]، {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} [العنكبوت: ٤٩]، {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [البقرة: ٩٩]، {وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [المجادلة: ٥]، {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الحج: ١٦]، {وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} [النور: ١٨]، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} [النور: ٥٨]، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ} [النور: ٥٩]، {قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [البقرة: ١١٨]، {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [آل عمران: ١١٨]، {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ٥٥]، {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: ١٠٥]، {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ} [النحل: ٦٤]، {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: ٨٩]. **هذا بالإضافة** للمواضع التي ستأتي في الفقرة التالية.

وهي قوله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ١، ٢]، وقوله تعالى: {حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: ١ - ٣]. فقد أخبر ربنا أن القرآن (مُبِين)؛ أي: **واضح في نفسه، ويُوَضِّح غيره،** كما أخبر أنه قد أنزله مفهوما قابلا للقراءة بلغة هي أوضح وأفضل اللغات، كلُ ذلك **لكيلا يتقاعس أحدٌ عن فهمه**.

فيخبر تعالى أن آيات القرآن هي {آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} أي: **البين الواضحة ألفاظه ومعانيه**. ومن بيانه وإيضاحه: أنه أنزله باللسان العربي، أشرف الألسنة، وأبينها، المبين لكل ما يحتاجه الناس من الحقائق النافعة، وكل هذا الإيضاح والتبيين {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أي: **لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه**. فإذا عقلتم ذلك بإيقانكم واتصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عمل الجوارح والانقياد إليه، و{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أي: **تزداد عقولكم بتكرر المعاني الشريفة العالية على أذهانكم**، فتنتقلون من حال إلى أحوال أعلى منها وأكمل[١].

قال ابن كثير: "{الْمُبِينِ} أَيِ: **الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ، الَّذِي يُفْصِحُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُبْهَمَةِ وَيُفَسِّرُهَا وَيُبَيِّنُهَا**. {إِنَّا أَنزلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} وَذَلِكَ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، **وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ**"[٢]

قال ابن عاشور: "فَإِنَّ **كَوْنَهُ قُرْآنًا يَدُلُّ عَلَى إِبَانَةِ الْمَعَانِي**، لِأَنَّهُ مَا جُعِلَ مَقْرُوءًا إِلَّا لِمَا فِي تَرَاكِيبِهِ مِنَ الْمَعَانِي المفيدة للقارىء. وَكَوْنُهُ عَرَبِيًّا يُفِيدُ إِبَانَةَ أَلْفَاظِهِ الْمَعَانِيَ الْمَقْصُودَةَ لِلَّذِينَ خُوطِبُوا بِهِ"[٣]

---

[١] تفسير السعدي (ص: ٣٩٣)

[٢] تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٥)

[٣] التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠١)

كما أخبر سبحانه أنه إنما أودع هذه الصفة في القرآن؛ **ليجعله مُيسرا للفهم لعباده**، فيتفهموه، ويشرعوا فيما بعد الفهم من **التفكر والتذكر والاهتداء والاتقاء والشكر** وغيرها من الأمور التي لا تتم إلا بالفهم أولا.

- فَرَبُّنَا سبحانه يُبَيِّن لنا الآيات **لنفهم ونتعقل ونتفقه**؛ يقول تعالى: {كَذَلِكَ **يُبَيِّنُ** اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [البقرة: ٢٤٢]، ويقول جل جلاله: {كَذَلِكَ **يُبَيِّنُ** اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [النور: ٦١]، ويقول سبحانه وبحمده: {قَدْ **بَيَّنَّا** لَكُمُ الْآيَاتِ **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [الحديد: ١٧]
- ويُبَيِّن سبحانه لنا الآيات **لِنَتَفَكَّر**؛ يقول تعالى: {كَذَلِكَ **يُبَيِّنُ** اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ **لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**} [البقرة: ٢١٩]، [البقرة: ٢٦٦]
- ويُبَيِّن سبحانه لنا الآيات **لِنَتَذَكَّر**؛ يقول تعالى: {**وَيُبَيِّنُ** آيَاتِهِ لِلنَّاسِ **لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**} [البقرة: ٢٢١]، ويقول جل جلاله: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ **بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**} [النور: ١]
- ويُبَيِّن سبحانه لنا الآيات **لِنَهْتَدِي**؛ يقول تعالى: {كَذَلِكَ **يُبَيِّنُ** اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ **لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**} [آل عمران: ١٠٣]
- ويُبَيِّن سبحانه لنا الآيات **لِنَشْكُر**؛ يقول تعالى: {كَذَلِكَ **يُبَيِّنُ** اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} [المائدة: ٨٩]
- ويُبَيِّن سبحانه لنا الآيات **لِنَتَّقِي**؛ يقول تعالى: {كَذَلِكَ **يُبَيِّنُ** اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ **لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**} [البقرة: ١٨٧]

لقد بَيَّنَ الله القرآن وَوَضَّحَه ليتيسر للإنسان التفكر والتذكر والاهتداء والاتقاء؛ وهي أمور عميقة جدا، **فكيف لا يكون مُيَسَّرا للتفهم وهو أقل عمقا؟**

☜ كيف يتفكر الإنسان أو يتذكر أو يهتدي أو يتقي **إن لم يفهم تلك الآيات**؟

☜ وكيف يتعلل الإنسان بصعوبة فهم القرآن، **بعد أن بَيَّنَ له الآيات**؟

☜ وكيف يُقَصِّر في التفهم أو التفكر أو التذكر أو الاهتداء، **بعد أن بَيَّنَ له الآيات**؟

لذلك يقول تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥]

وسنتوقف مع واحدٍ من المقاصد التي أخبر ربنا سبحانه أن يُبَيِّن الآيات لأجلها؛ وهو **التعقل،** حيث يقول تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٢٤٢]، ويقول سبحانه: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [النور: ٦١].

أي: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} عنه **فتفهمونها، وتعقلونها بقلوبكم،** ولتكونوا من أهل العقول والألباب الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد في العقل، وينمو به اللب، **لكون معانيها أجل المعاني،** وآدابها أجل الآداب، ولأن الجزاء من جنس العمل، فكما استعمل عقله للعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي دعاه إليها، زاده من ذلك[1].

فقد أخبر ربنا أنه قد بَيَّن وَوَضَح آياته الشرعية التي جاءت في القرآن؛ كما بَيَّن سائر كلامه ووضحه؛ **ليكون ذلك عونا للإنسان على تفهم القرآن وتدبره والعمل به،** ولكيلا **يتعلل** أحد بأن القرآن غير واضح أو غامض أو من الصعب فهمه.

قال عطاء: "**يفسر لكم** فرائضه لتعملوا بها حتى **تفقهوا**"[2].

---

[1] تفسير السعدي (ص: ٥٧٦)

[2] التفسير البسيط (٤/ ٣٠٦)

وقال الطبري: "لتعقلوا ... حدودي، **فتفهموا اللازم لكم من فرائضي،** وتعرفوا بذلك ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، وعاجلكم وآجلكم، **فتعملوا به** ليصلح ذات بينكم، وتنالوا به الجزيل من ثوابي في معادكم"[1].

وقال ابن كثير: "{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أَيْ: **تَفْهَمُونَ** وَتَتَدَبَّرُونَ"[2].

وقال أبو السعود وتابعه القاسمي: "لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، لكي **تفهموا ما فيها** وتعملوا بموجبها"[3].

وقال رشيد رضا: "أَيْ: مَضَتْ سُنَّتُهُ تَعَالَى بِأَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ فِي أَحْكَامِ دِينِهِ مِثْلَ هَذَا النَّحْوِ مِنَ الْبَيَانِ، وَهُوَ أَنْ يُذْكَرَ الْحُكْمُ وَفَائِدَتُهُ **وَيَقْرِنُهُ بِذِكْرِ اللهِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ**، لِيَعُدَّكُمْ بِذَلِكَ **لِكَمَالِ الْعَقْلِ فَتَتَحَرَّوُا الِاسْتِفَادَةَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ**، فَعَلَيْكُمْ أَنْ **تَعْقِلُوا** مَا تُخَاطَبُونَ بِهِ لِتَكُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ دِينِكُمْ، عَارِفِينَ بِانْطِبَاقِ أَحْكَامِهِ عَلَى مَصَالِحِكُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ تَزْكِيَةِ نُفُوسِكُمْ وَالتَّأْلِيفِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَتَكُونُوا حَقِيقِينَ بِإِقَامَتِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا"[4].

ثالثا: التصريف:

ولقد أخبر ربنا سبحانه أنه قد صَرَّف آيات القرآن، ونَوَّع في الأساليب المستخدمة في عرضها، وصَرَّف فيها من الأمثال والأخبار والوعد والوعيد؛ **لتستوعب كل الأفهام وتكون أيسر للفهم وما بعد الفهم** من التفقه والتذكر والتقوى والرجوع وغيرها.

---

[1] تفسير الطبري (٥/ ٢٦٦)

[2] تفسير ابن كثير (١/ ٦٦٠)

[3] تفسير أبي السعود (١/ ٢٣٧)، محاسن التأويل (٢/ ١٧٣)

[4] تفسير المنار (٢/ ٣٥٩)

وتصريف الآيات: توجيهها في الجهات التي **تظهرها أتم الإظهار**[1]. **مِنْ إِعْذَارٍ وَإِنْذَارٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ** وَنَحْوِ ذَلِكَ[2]. بِأَنْ تَأْتِيَ **مَرَّةً** بِحُجَجٍ مِنْ مُشَاهَدَاتٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، **وَأُخْرَى** بِحُجَجٍ مِنْ دَلَائِلَ فِي نُفُوسِ النَّاسِ، **وَمَرَّةً** بِحُجَجٍ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا اللهُ ...

فَهِيَ **مُتَّحِدَةٌ فِي الْغَايَةِ، مُخْتَلِفَةُ الْأَسَالِيبِ، مُتَفَاوِتَةٌ فِي الِاقْتِرَابِ مِنْ تَنَاوُلِ الْأَفْهَامِ عَامِّهَا وَخَاصِّهَا**، وَهِيَ أَيْضًا مُخْتَلِفَةٌ فِي تَرْكِيبِ دَلَائِلِهَا مِنْ جِهَتَي الْمُقَدِّمَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَمِنْ جِهَتَي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَمِنَ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ، **بِحَيْثُ تَسْتَوْعِبُ الْإِحَاطَةَ بِالْأَفْهَامِ** عَلَى اخْتِلَافِ مَدَارِكِ الْعُقُولِ[3].

- فَقد ذكَر ربنا أنه يُصَرِّف لنا الآيات؛ **لنفهم ونفقه**، فيقول تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ **نُصَرِّفُ** الْآيَاتِ **لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**} [الأنعام: ٦٥]
- وذَكَر أنه سبحانه يُصَرِّف لنا الآيات؛ **لنتذكر ونتقي**، فيقول تعالى: {وَلَقَدْ **صَرَّفْنَا** فِي هَذَا الْقُرْآنِ **لِيَذَّكَّرُوا**} [الإسراء: ٤١].

ويقول سبحانه: {وَلَقَدْ **ضَرَبْنَا** لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ **لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ **لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**} [الزمر: ٢٧، ٢٨]

ويقول جل جلاله: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا **وَصَرَّفْنَا** فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ **لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**} [طه: ١١٣]

---

[1] التفسير البسيط (٨/ ١٤٩)

[2] تفسير القرطبي (٦/ ٤٢٨)

[3] التحرير والتنوير (٧/ ٢٣٥)

☝ وذَكَرَ سبحانه أيضا أنه يُصَرِّف لنا الآيات؛ **لنرجع ونؤوب إلى الحق والرَشد**، فيقول تعالى: {**وَصَرَّفْنَا** الْآيَاتِ **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**} [الأحقاف: ٢٧]

☜ فكيف يتذكر الإنسان أو يرجع أو يفقه، **إن لم يفهم تلك الآيات**؟

☜ وكيف يتعلل الإنسان بصعوبة فهم القرآن، **بعد أن صَرَّفَ له الآيات**؟

☜ وكيف يُقَصِّر في التفقه أو التذكر أو التقوى، **بعد أن صَرَّفَ له الآيات**؟

لذلك يقول تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ **نُصَرِّفُ** الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} [الأنعام: ٤٦]

رابعا: التفصيل:

ولقد أخبر ربنا أيضا أنه قد فَصَّل آيات القرآن، وجعل القرآن تفصيلا لكل شيء؛ **ليكون أيسر للفهم وما بعد الفهم**؛ فقال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ **فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ**} [الأعراف: ٥٢]، وقال سبحانه: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ **مُفَصَّلًا**} [الأنعام: ١١٤].

وقد أخبر سبحانه أن الذي ينتفع بذلك التفصيل ويسعد به هو الذي **يتفهم ويتعقل ويتذكر ويتفكر**؛ فقال سبحانه: {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ **يَعْقِلُونَ**} [الروم: ٢٨]، {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ **يَفْقَهُونَ**} [الأنعام: ٩٨]، {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ **يَذَّكَّرُونَ**} [الأنعام: ١٢٦]، {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ **يَتَفَكَّرُونَ**} [يونس: ٢٤]. **أما ذاك الغافل المتكاسل** الذي لا يكلف نفسه الشروع في التفهم أو التفكير، فسيحرم من التفصيل وما فيه من تيسير.

☝ وأخبر ربنا أنه قد فَصَّل آيات القرآن، **ليكون له أوفر نصيب من الوضوح والبيان**، فقال جل جلاله: {وَكَذَلِكَ **نُفَصِّلُ** الْآيَاتِ **وَلِتَسْتَبِينَ** سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ٥٥]

- وأخبر أيضا أنه سبحانه قَد فَصَّل الآيات؛ لتكون عونا للإنسان على الرجوع عن التقصير والمخالفات، فقال تعالى: {وَكَذَلِكَ **نُفَصِّلُ** الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ **يَرْجِعُونَ**} [الأعراف: ١٧٤]
- وأخبر أيضا أنه سبحانه قَد فَصَّل الآيات؛ ليزداد يقين العبد بلقاء ربه، فقال تعالى: {**يُفَصِّلُ** الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ **تُوقِنُونَ**} [الرعد: ٢]
- فكيف يستبين الإنسان أو يرجع أو يوقن **إن لم يفهم تلك الآيات**؟
- وكيف يتعلل الإنسان بصعوبة فهم القرآن، **بعد أن فَصَّل له الآيات**؟
- وكيف يُقَصِّر في التفهم أو اليقين أو الرجوع، **بعد أن فَصَّل له الآيات**؟

***ونُورد هنا بعض النقولات عن العلماء فيما يتعلق بهذا الأمر:**

- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٍ **تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا**،
  وَتَفْسِيرٌ **لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ**،
  وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ،
  وتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله"[١]
- يقول الدكتور اللاحم: "إن الصحيح والحق في هذه المسألة أن **القرآن معظمه** واضح وَبَيِّن وظاهر لكل الناس"[٢].

فأغلب القرآن من الوجه الذي تعرفه العرب من كلامها والسياق يوضح معناه؛ وذلك يتسق مع تيسير القرآن للذكر (تذكرا وفهما)؛ ومع افتراض الله للتدبر، والافتراض لا يكون إلا **بمقدور ميسور**.

[١] تفسير الطبري (١/ ٧٠)

[٢] مفاتح تدبر القرآن (ص: ١١)

قال الزَّرْكَشِيُّ: "ينقسم القرآن العظيم:

إلى: ما هو بيِّنٌ بنفسه، بلفظٍ لا يحتاج إلى بيانٍ منه، ولا من غيره، **وهو كثير** ...

وإلى: ما ليس ببيِّنٍ بنفسه، فيحتاج إلى بيان، وبيانُه إما فيه في آية أُخْرى، أو في السُّنَّةِ"[1]

والخطاب القرآني، يتميز بكون السياق يساعد على فهم بعض الكلمات الغريبة، فحينما نقرأ قوله تعالى: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ **ضِيزَى**} [النجم: ٢١، ٢٢]، نفهم من السياق أن كلمة **"ضِيزَى"** ربما يكون معناها "ظالمة" أو "جائرة" أو "غير عادلة"؛ وذلك فعلا هو معناها.

ورغم ذلك نقول: لاينبغي اعتماد ما فهمناه بأنفسنا، بل لابد من الرجوع لكتب التفسير؛ لتسديد ما فهمناه واعتماده.

وحينما نقرأ قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ **الْعَرِمِ** وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ **خَمْطٍ** **وَأَثْلٍ** وَشَيْءٍ مِنْ **سِدْرٍ** قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: ١٥ – ١٧]، لا نعرف على التعيين معنى **"الْعَرِمِ"** أو **"خَمْطٍ"** أو**"أَثْلٍ"** أو **"سِدْرٍ"**، لكننا نفهم من السياق أنها أشياء سيئة تم مجازاتهم بها بسبب كفرهم للنعمة وإعراضهم، فَكَلِمَتَي **"فَأَعْرَضُوا"** ، **"بَدَّلْنَاهُمْ"** كانتا كافيتين في تفهيمنا سياق الآية.

[1] البرهان (٢/ ١٨٣- ١٨٤)

وتلك أمثلة ربما كانت فيها كلمات تحتاج إلى تبيين؛ لكن غالب القرآن في منتهى الوضوح كما أسلفنا، **"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة"** ، **"وللآخرة خير وأبقى"** ، **"كونوا مع الصادقين"**، **"ولا تقربوا الزنا"**. فأين الإشكال أو الصعوبة في فهم هاتيك الآيات؟

وها هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يؤكد أن **المعنى الإجمالي أهم، ولا يضره أن يغيب عنه معنى لفظة؛** ولايؤثر في الاتباع، طالما أنه يفهم السياق العام؛ فعن أنس قال: قرأ عمر: "{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم قال: **"مه نهينا عن التكلف"**.

وفي لفظ: ثم قال "إن هذا لهو التكلف يا عمر، فما عليك ألا تدري ما الأب، **اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب، واعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى عالمه**"[1]

وعَنْ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: «أَمَّا الْقُرْآنُ فَمَنَارٌ كَمَنَارِ الطَّرِيقِ، **وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ**»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ لَفْظٌ إلَّا **مَقْرُونٌ بِمَا يُبَيِّنُ بِهِ الْمُرَادَ.** وَمَنْ غَلِطَ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ فَمِنْ قُصُورِهِ أَوْ تَقْصِيرِهِ"[3]

---

[1] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٢/ ٣٢٨)

[2] مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٨)

[3] مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٧٤)

الوهم الخامس: محاولة فهم القرآن حرام؛ لأنها "قول في القرآن بالرأي" وهو مُحَرَّم.

وسبب ذلك الوهم؛ **الخلط** بين التفسير والفهم؛ **فالتفسير فرض كفاية**، ولايقوم به إلا من لديه أدوات التفسير من العلماء والمتخصصين؛ لكن **الفهم فرض عين** على كل قادر من المسلمين؛ ويعتبر **التفسير وسيلة الفهم** الرئيسية.

فمن يريد تفهم القرآن؛ لا ينبغي أن تكون له علاقة بالخوض في تفسيره؛ أو القول فيه برأيه؛ وإنما يطالع التفسير لأجل الفهم؛ **وعليه، فليس في حاجة لدراسة** أصول التفسير أو علوم القرآن أو علوم اللغة أو البلاغة أو غيرها. وقد تسبب ذلك الخلط للأسف في تعويق كثير من المسلمين عن تفهم القرآن.

قال ابن هبيرة: "من مكايد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن **لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر**. فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: **أنا لا أتكلم في القرآن تورعا**"[1]

[1] ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦)



☜ التساؤل الأول:

ماذا تقول فيما ورد عن بعض الصحابة كعثمان رضي الله عنه وغيرهم من العلماء والصالحين كالشافعي رحمه الله، فيما يتعلق بسرعة القراءة؟

أولا: يرى **بعض** أهل العلم أن هذا **لا تصح نسبته إلى أغلبهم من ناحية الإسناد؛** فما جاء عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في ليلة مثلا، قد ضَعَّفَه الشيخ **الألباني** وغيره من أهل هذا الفن. فقد قال: "أحسن الإمام الترمذي برواية هذا الخبر والذي بعده **بصيغة التضعيف**. لأن الركعة مهما طالت لا يمكن أن يقرأ فيها القرآن الكريم كاملا. **فضلا عما في ذلك من مخالفة لسنة رسول الله** صلى الله عليه وسلم. في الركوع والسجود والقيام، **وحاشا لسيدنا عثمان أن يفعل مثل ذلك**"[1]

وقد قال الترمذي نفسه بعد إيراده لأثر عثمان رضي الله عنه بصيغة التضعيف: "وَالتَّرْتِيلُ فِي القِرَاءَةِ **أَحَبُّ إِلَى أَهْلِ العِلْمِ**"[2]

ثانيا: لو صَحَّت نسبة ذلك إلى أولئك الأكارم، **فخير الهدي هدي محمدٍ (ﷺ)؛** وقد نهى عن القراءة السريعة بلا فهم، ولم يفعلها فقد كانت قراءته مترسلة بطيئة.

ذكر الذهبي أَنَّ أَبَا بَكْرِ بنَ عَيَّاشٍ مَكَثَ نَحْواً مِنْ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَرَّةً؛ لكنه قال: "وَهَذِهِ عِبَادَةٌ يُخْضَعُ لَهَا، **وَلَكِنْ مُتَابَعَةُ السُّنَّةِ أَوْلَى**"[3].

كما ذكر عن وكيع أنه كان يختم القرآن كل ليلة؛ ثم قال: "هَذِهِ عِبَادَةٌ يُخْضَعُ لَهَا،

---

[1] ضعيف سنن الترمذي (ص: ٣٥٧)

[2] سنن الترمذي (٥/ ١٩٧)

[3] سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/ ٥٠٣)

وَلَكِنَّهَا مِنْ مِثْلِ إِمَامٍ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَثَرِيَّةِ **مَفضُولَةٌ** ... **وَمُتَابَعَةُ السُّنَّةِ أَوْلَى**"[1]

وقال في تعليقه على حديث عبد الله بن عمرو: "فَأَقَلُّ مَرَاتِبِ النَّهْيِ أَنْ **تُكْرَهَ تِلاَوَةُ القُرْآنِ كُلِّهِ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ**، فَمَا فَقِهَ وَلاَ تَدَبَّرَ مَنْ تَلاَ فِي أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ. وَلَوْ تَلاَ وَرَتَّلَ فِي أُسْبُوْعٍ، وَلاَزَمَ ذَلِكَ، لَكَانَ عَمَلاً فَاضِلاً، فَالدِّيْنُ يُسْرٌ ... فَمَتَى تَشَاغَلَ العَابِدُ بِخِتْمَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، **فَقَدْ خَالَفَ الحَنِيْفِيَّةَ السَّمْحَةَ ... وَلاَ تَدَبَّرَ مَا يَتْلُوْهُ**. هَذَا السَّيِّدُ العَابِدُ الصَّاحِبُ كَانَ يَقُوْلُ لَمَّا شَاخَ: لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُوْلِ اللهِ (ﷺ) ... وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُلزِمِ نَفْسَهُ فِي تَعَبُّدِهِ وَأَوْرَادِهِ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، **يَنْدَمُ وَيَتَرَهَّبُ وَيَسُوْءُ مِزَاجُهُ، وَيَفُوْتُهُ خَيْرٌ كَثِيْرٌ**"[2].

ثالثا: هل جاء في تلك الآثار المروية عنهم أنهم كانوا يسرعون في القراءة ولا يفهمون، **مَنْ الذي قال أنهم كانوا لايفهمون ما يقرأونه؟** وكيف يكون ذلك حجةً للقراءة السريعة بلا فهم؟ لقد كانوا علماء يعرفون معنى ما يقرأون، ولاشك أن الإنسان إذا قرأ كلاما لا يفهمه أو لا يفهم شيئا منه للمرة الأولى فإنه يستغرق وقتا أطول بكثير من المرات التالية. قال ابن كثير: "وقد **كره غير واحد من السلف** قراءة القرآن فى أقلَّ من ثلاثٍ، كما هو مذهبُ أبى عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضًا ... فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف (يقصد: القراءة في أقل من ثلاث) محمول إما على أنه **ما بلغهم فى ذلك حديث** مما تَقَدَّمَ، أو أنهم كانوا **يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة**، والله سبحانه وتعالى أعلم"[3].

---

[1] سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٩/ ١٤٣)

[2] سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٨٤)

[3] فضائل القرآن لابن كثير (ص: ٢٥٤ وما بعدها)

ووافقه الألباني في إحدى تعليليه، فقال: "ولا يشكل على هذا ما ثبت عن بعض السلف مما هو خلاف هذه السنة الصحيحة، **فإن الظاهر أنها لم تبلغهم**"[1].

أما نحن، فقد بَلَغَنا النهي عن الإسراع، ولا يستطيع الواحد منا أن يتفهم ويتفكر مع هذه السرعة.

رابعا: من المعلوم أنهم كانت **أوقاتهم أكثر بركة** من أوقاتنا نحن لاسيما مع صلاحهم، وعمرانهم لأوقاتهم بالصالحات.

وفي التعليق على حديث [خفف على داوود القراءة]، قال ابن حجر: "وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ **الْبَرَكَةَ قَدْ تَقَعُ فِي الزَّمَنِ الْيَسِيرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ**"[2]. وقال القاري: "وَفِيه: الدّلَالَة على أَن الله تَعَالَى **يطوي الزَّمَان لمن يَشَاء من عباده**"[3]

خامسا: أن مَا ورد عنهم في ذلك؛ **لا يعني المداومة عليه**، فقد يكون لاغتنام أمكنة أو أزمنة فاضلة، أو في حالات خاصة نادرة، لاسيما إذا كان ذلك الصحابي أو العالم **لا يرى أن النهي على التحريم**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَلَا يَلْزَمُ إذَا شُرِعَ فِعْلُ ذَلِكَ أَحْيَانًا لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ الْمُدَاوَمَةُ عَلَى ذَلِكَ مُسْتَحَبَّةً؛ **وَلِهَذَا لَمْ يُعْلَمْ فِي الصَّحَابَةِ عَلَى عَهْدِهِ مَنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ** - أَعْنِي عَلَى قِرَاءَتِهِ دَائِمًا فِيمَا دُونَ السَّبْعِ - وَلِهَذَا كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَد - رَحِمَهُ اللهُ - يَقْرَؤُهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ"[4].

---

[1] سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٦٠١)

[2] فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٥٥)

[3] عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ٧)

[4] مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٧)

وقد مر بنا قول ابن الجوزي: "وقد لبس عَلَى قوم بكثرة التلاوة فهم يَهُذُّون هذا **من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة،** وَقَدْ روى عَنْ جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن فِي كل يوم أَوْ فِي كل ركعة، **وهذا يكون نادرا منهم** ومن داوم عَلَيْهِ فإنه وإن كان جائزا، إلا أن **الترتيل والتثبت أحب إِلَى العلماء**"[١]

☜ **التساؤل الثاني:**

ماذا تقول في فتوى بعض العلماء بجواز الإسراع بالقراءة حتى وإن لم يكن الإنسان يفهم ما يقرأ؟

أولا: أنتَ بنفسك تقول **(جواز)**، فمعظم من يتكلم في ذلك من العلماء يتكلم في **جواز** (الإسراع في القراءة) في مقابل كلام من يقول بكراهة ذلك أو حرمته، وبعضهم يتكلم في **أفضلية الإسراع بالنسبة لمن لن يتمكن من الفهم** بنفسه؛ لأنه ليست لديه أدوات الفهم لكتاب الله بنفسه، ولايتمكن من الفهم من خلال كتاب أو من خلال سؤال لغيره.

لكن **لا ينازع جمهورهم في أن القراءة المترسلة مع التفهم والتدبر أفضل وأنها (مُسْتَحَبة)**، يكفي أنها اتباع لسنة النبي (ﷺ) في القراءة، وأحب العمل إلى الله ما كان عليه رسول الله (ﷺ). **فما بال البعض يُصِر على فعل (الجائز) الذي يراه بعض العلماء مكروها، ويترك الذي لا خلاف في استحبابه وأفضليته؟**

قال الألباني عن حديث النهي عن القراءة في أقل من ثلاث: "وهذا نص **عام شامل لجميع الأشخاص** ... فقد ذكر ﷺ أن كل من يقرأ القرآن في أقل من ثلاث **لا يفقهه، ولا يفهمه الفهم المقصود من تلاوة القرآن** ...

---

[١] تلبيس إبليس (ص: ١٢٨)

وقد نسب – عليه الصلاة والسلام – كل من خالف ذلك إلى **عدم الفقه** – كما هو ظاهر معنى الحديث المذكور باللفظ الثاني (يقصد: لا يفقه من يقرأه في أقل من ثلاث). فالحق أنه **لا يجوز قراءة القرآن في أقل من ذلك**. وهو اختيار الإمام أحمد وغيره من الأئمة"[1].

ثانيا: كثير من فتاوى العلماء تُسْتَخدَم في التدليل على (جواز الإسراع)، وهي في الأساس في (جواز أن يكثر الإنسان من القراءة لا أن يُسْقِط تفهمها أو تدبرها أو يهذها)، فنجد الزركشي مثلا يقول عن مدة الختم: "وَالْمُخْتَارُ وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِحَالِ الشَّخْصِ فِي النَّشَاطِ وَالضَّعْفِ **وَالتَّدَبُّرِ وَالْغَفْلَةِ**"[2]. في الوقت الذي يقول فيه: "**تكره قراءة الْقُرْآنِ بِلَا تَدَبُّرٍ**" وَذكر لذلك شواهدًا منها، ذم النبي (ﷺ) للْخَوَارِجِ، ثم قال عنهم: "ذَمَّهُمْ بِإِحْكَامِ أَلْفَاظِهِ **وَتَرْكِ التَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ**"[3].

لذا لابد أن نجمع كلام العلماء إلى بعضه **ونفهمه في سياق واحد**، فكيف يكون العالم من القائلين باستحباب القراءة بالترتيل والتفهم والتدبر، ومن الذامين لترك ذلك، ثم هو يوصي بأن يُقْرأ القرآن بلا تدبر أو تفهم؟

إن المنقول عن أولئك العلماء وكأنه إجابة سؤال: **ما هو الكم الذي نقرؤه؟** فيرون حينها ألا بأس بالإكثار ولو أن يختم في ليلة، **طالما يراعي الترتيل والتفهم.** فقد قَالَ الثَّوْرِيُّ: "**لَا بَأْسَ أَنْ تَقْرَأَهُ فِي لَيْلَةٍ إِذَا فَهِمْتَ حُرُوفَهُ**"[4]

---

[1] أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٥٢١)

[2] البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٧١)

[3] البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٥٥)

[4] مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٣٥٤)

فالخلط بين **(المدة)** أقصد: المدة التي يختم فيها القرآن أو **كم المقروء**، **(والكيفية)** أقصد: الكيفية التي يقرأ بها القرآن، هو الذي أوقع في هذا اللبس عند البعض.

١. فهناك مَن يرى أنه **لاحَدَّ للمدة أو الكَم المقروء**، فله أن يختم في أي مدة، **بأي كيفية** المهم أن تكون قراءة، وهذا أندر الأقوال وأضعفها.

٢. وهناك من يرى أنه **لاحَدَّ للمدة أو الكَم المقروء**، فله أن يختم في أي مدة، لكن **ينبغي ألا تكون الكيفية هذاً أو هذرمةً**، أي: لا تكون إسراعا يُسقط الحروف والأحكام.

❋ ويلتحق بأصحاب هذا الرأي اختيار النووي مثلا لأولئك الذين لا يتمكنون من التفهم والتدبر؛ فيما يتعلق بمدة الختم، حيث يقول: "والاختيار أن ذلك **يختلف باختلاف الأشخاص**، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، **وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة**"[١]

وهو كلام جامع في غاية النفاسة، ربما كان أفضل ما قيل في الباب، وقد أورده ابن حجر في الفتح أيضا واستحسنه[٢].

في حين أن رأي النووي رحمه الله على العموم قد أفصح عنه بقوله: "وَاتَّفَقُوا عَلَى **كَرَاهَةِ الْإِفْرَاطِ فِي الْإِسْرَاعِ** وَيُسَمَّى الْهَذُّ، قَالُوا: **وَقِرَاءَةُ جُزْءٍ بِتَرْتِيلٍ أَفْضَلُ**

[١] التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٦١)

[٢] فتح الباري لابن حجر (٩/ ٩٧)

مِنْ قراءة جزءين فِي قَدْرِ ذَلِكَ الزَّمَنِ بِلَا تَرْتِيلٍ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالتَّرْتِيلُ مُسْتَحَبٌّ لِلتَّدَبُّرِ وَلِأَنَّهُ أَقْرَبُ إلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّوْقِيرِ وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ؛ وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ التَّرْتِيلُ لِلْأَعْجَمِيِّ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ"[1]. وقال: "ويحصل له أصل القراءة بقراءة الآيات القليلة، والمطلوب القراءة بالتدبّر والخشوع والخضوع"[2]

٣. وهناك مَنْ يرى أنه لاحَدَّ للمدة أو الكَم المقروء، فله أن يختم في أي مدة، لكن ينبغي أن تكون الكيفية بالترتيل والتمهل والترسل ومراعاة التفهم والتدبر، وعليه يُحمَل كلام معظم مَن أجاز عدم التقيد بالثلاثة أيام في الختم.

* ويلتحق به أيضا قول ابن رجب في جواز عدم التقيد بالأيام الثلاثة في الختم في المواسم الفاضلة، حيث يقول: "وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة ... أو في الأماكن المفضلة ... فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما ... وعليه يدل عمل غيرهم"[3]

رغم أن رأيه على العموم قد أفصح عنه بقوله: "وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَشِدَّةُ حُبِّهِ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ، إِذْ هُوَ كَلَامُ الْخَالِقِ، وَشِدَّةُ الرَّغْبَةِ فِي فَهْمِهِ، وَشِدَّةُ الْعِنَايَةِ لِتَدَبُّرِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِطَلَبِ مَعَانِي مَا أَحَبَّ مَوْلَاهُ أَنْ يُفْهِمَهُ عَنْهُ، أَوْ يَقُومَ بِهِ لَهُ بَعْدَ مَا يُفْهِمُهُ"[4].

---

[1] المجموع (٢/ ١٩٠-١٩١)

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ١٢٥)

[3] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٧١)

[4] جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢١)

وقوله: "وكان السلف يوصون **بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه،** فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان، أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان"[1]

٤. وهناك مَن **لا يرى أنه يجوز له أن يختم في أقل من ثلاثة أيام** كما جاء في الحديث، ويؤكد طبعا على أنه **لايجوز له أن تكون الكيفية بغير الترتيل** والتمهل والترسل ومراعاة التفهم والتدبر. وهو **قول الجمهور** كما نقله غير واحد، وهو ما نختاره هنا في الكتاب.

ثالثا: أعتقد أن الأفضل للإنسان أن يكون في الأمان، **فهل من السهل أن يُعَرِّض الإنسان نفسه للذم الوارد في القرآن والسُنَّة** وكثير من كلام الصحابة والعلماء، ويتشبث بكلام مَن يقول بالجواز من العلماء مع تمام الاحترام والتقدير لهم؟

هل من السهل أن يؤدي الإنسان العبادة بصورة لم يؤدها بها رسول الله (ﷺ)؟

هل من السهل أن يعارض الإنسان هدي النبي (ﷺ) العملي والقولي بكلام أحدٍ من الناس كائنا من كان؟

كان الشافعي رضوان الله عليه يقول: **"أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله (ﷺ)؛ لم يكن له أن يدعها لقول أحد"**[2]

☜ **التساؤل الثالث:**

أليس كلما قرأ الإنسان عددا أكبر من الحروف حَصَّل كَمًّا أكبر من الحسنات، فالحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها؟

---

[1] مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٣٥٢)

[2] مدارج السالكين (٢/ ٣٤٨)

أولا: مَنْ الذي قال أن الذي يقرأ ويُرَكِّز في فهم ما يقرأ لا ينال ذلك الثواب أيضا؟ ولعلك تقول لي: لكن الكم الذي سيقرؤه سيكون أقل.

أقول: نعم، هذا في **المرة أو المرات الأولى** لكن بعد مرة أو أكثر سيكون قد فهم الآيات وتَمَرَّن على أن يقرأ وهو يفهم.

ثانيا: أيهما أكبر، ثواب النافلة أم ثواب الفريضة؟ القراءة بلا فهم **أحسن أحوالها أنها نافلة،** أما الفهم فهو فريضة، ووسيلة إلى غيره من الفرائض، وبين النافلة والفرض كما بين السماء والأرض؛ فقد قال الله في الحديث القدسي "وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ"[1]، وقال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ **قَانِتٌ** آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا **يَحْذَرُ** الْآخِرَةَ **وَيَرْجُو** رَحْمَةَ رَبِّهِ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ** أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]

ثالثا: حتى بِلُغَة الأرقام، فإن **ثواب عبوديات القلب، أعظم من ثواب عبوديات الجوارح،** والفهم والتدبر والتفكر والتذكر وغيرها عبوديات للقلب، فلحظة (إخلاص ورحمة) انعقدت في قلب امرأة بغي سقت كلبا كانت سببا في غفران ذنوبها ونجاتها. **فما بالكم بلحظات حياء أو خشية أو شوق أو رجاء انعقدت في قلب إنسان تفهم وتدبر ما يقرؤه ففاضت عينه؟!**

رابعا: إبهام ثواب العبادة لايعني أنها أقل قدرا، بل على العكس يعني أنها أرفع قدرا، فما لم يُصَرَّح بثوابه، فثوابه أعظم مما صُرِّح به. إذا سألتك عن قيام الليل فستذكر لي من ثوابه الشيء الكثير، أما إذا سألتك عن ثواب صلاة الظهر فلن تجد في جعبتك الكثير لتخبرني به، فهل معنى ذلك أن قيام الليل أفضل وأعظم ثوابا؟

[1] صحيح البخاري (٨/ ١٠٥)

ولأن المفروضات مقدورات ميسورات للجميع، فلا نجد ترغيبا عليها كذلك الذي نجده على المُستحبات أو النوافل؛ لأنها ليست في مقدور الجميع وإلا لجعل الله المستحبات أو النوافل فرائض.

ولذلك فإنني أسأل: قد أخبرتمونا بثواب قراءة آية، **فما هو ثواب فهمها؟ ما هو ثواب تدبرها؟ ما هو ثواب العمل بها؟** لَستُ بحاجة إلى إجابة لأنني أوقن أنه ولاشك أكبر من ثواب القراءة بأضعاف مضاعفة.

فلا تسمحوا للشيطان أن يشغلكم بالمفضول عن الفاضل، ويُغَرِّر بكم ويحرمكم من الثواب الكامل، تلك الحسنات المترتبة على مجرد القراءة **كالتمرة أو كوب العصير الذي يُقَدَّم للضيف بين يدي الوليمة العظيمة.**

قال ابن هبيرة: "من مكايد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن **لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر**"[1]

وقال ابن القيم: "الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، **حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه،** فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه"[2]

☜ التساؤل الرابع:

هل معنى ذلك أن الذي يقرأ ولا يفهم، يأثم؟

---

[1] ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦)

[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٩٣)

نحن لا نقول بذلك، بل نرجو لكل مَن اتصل بالقرآن أي اتصال مشروع أن يكون مأجورا إن شاء الله، فالقرآن كتاب كريم، ولا يخلو المتصل به من بعض آثار كرمه من الخير والأجر. **لكننا نخشى على ذاك الذي** يستطيع أن يفهم وقد استبانت له أهمية وضرورية الفهم ثم هو يصر على تركه.

ونقول في ذلك الباب ما يقوله الإمام أحمد رحمه الله؛ فقد قَالَ حَرْبُ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنْ السُّرْعَةِ فِي الْقِرَاءَةِ **فَكَرِهَهُ** إلَّا أَنْ يَكُونَ لِسَانُ الرَّجُلِ كَذَلِكَ أَوْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَرَسَّلَ، قِيلَ: فِيهِ إثْمٌ؟ قَالَ أَمَّا الْإِثْمُ **فَلَا أَجْتَرِئُ عَلَيْهِ**[١]. إن كان أحمد رحمه الله – وهو مَن هو – لا يجترىء عليه، فكيف نجترىء عليه نحن أو غيرنا؟

☜ **التساؤل الخامس:**

هناك أوقات تمر بي لا أستطيع فيها التفهم أو التدبر أو التركيز في القراءة، فهل أتوقف عن القراءة؟

بالعكس نحن نوصي دائما ألا نتوقف عن القراءة أبدا لأجل ذلك، بل نعتبر ذلك من **مداخل الشيطان؛** فإنه يحاول بكل قوته أن يحول بينك وبين أي أجر، فيوهمك أنك لن تستطيع الفهم أو التدبر أو التركيز الآن فلا تقرأ.

لأنه يعلم أنك مأجور بمجرد القراءة، وأنك مأجور على الفهم **بنيتك** التفهم والتدبر طالما جاهدت وصدقت وإن لم تتمكن من ذلك، بل ويعلم أنك **ما إن تشرع في القراءة حتى تتحرر من وسوسته** ومن كل ما أشغلك وصرفك فتنفتح لك المغاليق، وتتبدد العوائق ببركة الاتصال بالقرآن.

---

[١] الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٣١١)

وهذا هو الواقع فعلا، فما إن تشرع في القراءة حتى تأتيك الفتوحات؛ لأن **من بركات الحسنة الحسنة بعدها**، والقرآن من أعظم أسباب يقظة القلب ونشاطه.

قال ابن القيم: "الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان **عندما يهم بالخير**، أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه ... وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى **كان اعتراض الشيطان له أكثر**"[1]

☜ التساؤل السادس:

هل معنى كلامك أن الذي لا يحسن تفهم القرآن لايقرأ أو يسمع؟

بالعكس نحن نوصي دوما بالاتصال بالقرآن بأي طريقة مشروعة، وكُلُّ ذلك خير، فطالما أنه لن يتمكن من الفهم يكثر من القراءة والسماع وما يستطيعه من صور الاتصال المشروعة بالقرآن وهو مأجور على كل ذلك إن شاء الله.

لكننا نوصيه بألا يستسلم ويتوهم أنه لن يقدر على الفهم، فحتى لو كان لا يقرأ ولا يكتب العربية، فبإمكانه سماع التفسير الصوتي وهو متوفر الآن والحمد لله، وبإمكانه سؤال العلماء والدعاة وطُلَّاب العلم.

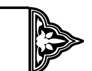
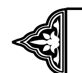
إنني أتصور أن تكون هناك مشكلة عند البعض في القراءة أو التجويد؛ لكنني **لا أتصور أن تكون هناك مشكلة عند أحد في أن يفهم رسالة الله إليه** بسؤال غيره أو بسماع شرحها، فلا أعتقد أن اللغة أو القدرة على القراءة تعتبر عذرا للإنسان في ترك فهم رسالة الله إليه. لأن ربنا يوم أنزل القرآن بالعربية **يعلم أن من عباده مَن لا يعرفونها**، وأن منهم أجيال ستأتي من بعد لن تعرفها، وأن منهم من سيعيش حياته كلها لا يعرف كلمة عربية واحدة.

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٩٣)

لكنه رغم ذلك خاطبهم بالقرآن؛ لأن **مراده من عباده يتجلى في المعاني** وإن غابت القدرة الشخصية على التعامل مع المباني.

ولذلك فإن كثيرا ممن دخلوا في الإسلام بسبب قراءة القرآن، وأحبوا القرآن، وامتثلوا ما وَصَّى الله به، **لم يكونوا يعرفون العربية أصلا،** لكنهم فهموا معاني رسالة الله لهم التي جاءت في القرآن الكريم، وانشغلوا بالمعاني.

فلا ينبغي التعلل بحاجز اللغة أو عدم القدرة على القراءة في ترك تفهم القرآن وتدبره؛ وهذه وصية خاصة لإخواننا الأعاجم ومَن يُعَلِّمُونهم حين ينشغلون بإتقان العربية وإتقان التجويد وربما التحفيظ، قبل فهم القرآن.


عوائق الفهم


العلم والعمل

- نقص القوة العلمية (مشكلة مفاهيمية) [الأوهام التي تحول دون الفهم]
- نقص القوة العملية (مشكلة مهارية) [عدم الإلمام بمهارات الفهم]

العجز والكسل

- العجز (اليأس، وغياب الثقة بما وهبه الله للنفس)
- الكسل (قلة الحوافز، وكثرة الحواجز)

الجبن والبخل

- الجُبْن (الخوف من تَبِعات الفهم)
- البخل (عدم الرغبة في التضحية والاستسلام للواقع)

الهم والحزن

- الهم (الانشغال بالقلق على ما هو آت)
- الحزن (الانشغال بالتأسف على شيء فات)

الغلبة والقهر

- غلبة الدَّيْن
- قهر الرجال

١- نقص القوة العلمية (مشكلة مفاهيمية).

فالبعض لا يعرف أصلا أن الفهم **مهم**، أو أنه **فرض**، أو أنه **أفرض وأهم** من التلاوة والتجويد والحفظ.

والبعض الآخر يعرف أن الفهم مهم، لكنه **لا يدرك على الحقيقة أهميته ودوره** العظيم في سعادة وفلاح الإنسان في الدنيا والآخرة.

والبعض الآخر يعرف أن الفهم أهم ويدرك أهميته، لكن هناك **أوهام وشبهات** تحول بينه وبين تقدير (خطوة الفهم) حق قدرها، وإعطائها حقها.

وقد ناقشنا – بفضل الله – أبرز وأهم هذه الأوهام والشبهات، التي يتخذها البعض **غير قاصدين مسوغا للهروب** من التفهم وهم يتعاملون مع القرآن.

فالشبهات والأوهام **تندفع وتتبدد بالعلم النافع**، ويُرْجى أن نكون قد أوردنا فيما مضى من العلم النافع والمفاهيم السديدة، **ما يبدد الغشاوة، ويُنِيرُ البصيرة.**

والإنسان بِحَاجة دائمة إلى (علم) **يُبَصِّره ويهديه**، ويكون له بمثابة **فرقانٍ** يُفَرِّق به بين الخطأ والصواب؛ ويؤكد ابن القيم رحمه الله أن كمال كل إنسان ومدار سعادته وفلاحه على وجود أمرين: **علم يبصره ويهديه، وهِمَّة تدفعه وترقيه**[1]، وقد عبر عن ذلك بما أسماه القوة العلمية والقوة العملية.

ويقول أيضا: "للْإِنْسَان قوتان:

قُوَّة علمية نظرية، وَقُوَّة عملية إرادية.

وسعادته التَّامَّة مَوْقُوفَة على **استكمال قوتيه**"[2]

---

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٤٦)

[2] الفوائد لابن القيم (ص: ١٨)

ويقول: "السائر إلى الله تعالى والدار الآخرة، **بل كل سائر إلى مقصد،** لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية. فبالقوة العلمية **يبصر** منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصدها سائراً فيها، **ويجتنب** أسباب الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل. وبالقوة العملية **يسير حقيقة،** بل السير هو حقيقة القوة العملية ... **وكذلك السائر إلى ربه،** إذا أبصر الطريق وأعلامها، وأبصر المعاثر والوهاد والطرق الناكبة عنها، فقد حصل له **شطر السعادة والفلاح،** وبقى عليه الشطر الآخر وهو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافراً فى الطريق قاطعاً منازلها منزلة بعد منزلة ... ومن كانت له هاتان القوتان **استقام** له سيره إلى الله تعالى، **ورُجِيَ** له النفوذ، **وقوى على رد القواطع والموانع** بحول الله وقوته"[١]

٢- نقص القوة العملية [عدم الإلمام بمهارات الفهم] (مشكلة مهارية):

وفي رأيي أن هذا هو **أقل عوائق الفهم** (رغم أننا قد **خصصنا له الفصل القادم** كاملا)؛ وما ذلك إلا لأن الإنسان بالفعل يفهم ويجتهد في اكتساب مهارات التفهم، **لكن لأجل دنياه،** بل هو على يقين أنه إذا أراد إنجاز شيء أو التميز فيه فإنه لا بد أن يفهمه جيدا.

وليس هناك أحد إلا ولديه **تجربة ناجحة لفهم** كتاب أو محتوى إرشادي لأمر من أمور دنياه، كلُ ما هنالك أنه **لو صَرَفَ قدرا يسيرا من همته وخبرته** في الحرص على الفهم لأمور الدنيا، لأجل أمر من أمور الآخرة، واستعان بربه، وأخلص له، فسينجح نجاحا باهرا.

[١] طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ١٨٥،١٨٣)

٣- العجز (اليأس، وغياب الثقة بما وهبه الله للنفس).

فالبعض يخوض محاولات للفهم أو للعناية بالمعاني؛ لكنها تكون محاولات **قاصرة لا تخلو من خلل**، ولذلك تكون نتيجة تلك المحاولات **الإخفاق**، فيبدأ **اليأس في التسرب** تدريجيا لقلب ذلك الإنسان، فإذا أخفق في محاولة قاصرة أخرى **يُخيِّم على قلبه شبح الإحباط ويفقد ثقته** فيما وهبه الله إياه من قدرات وإمكانيات، فإذا حَدَّثَه أحد في العناية بالمعاني والشروع في التفهم أو حتى حَدَّثته نفسه، يتعلل **بعجزه** عن ذلك **وعدم امتلاكه** للمؤهلات المطلوبة للأمر.

لقد **وأد** ما لديه من قدرات وإمكانيات وأعدمها، واستمرأ حالة العجز تلك، **ونسي** أنه قد خاض **أكثر من ألف محاولة** ليستقيم (ماشيا) وهو طفل صغير، واليوم ييأس **بعد** محاولتين أو ثلاثة أو حتى عشرة محاولات.

والعجز، **أصله التأخر** عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخرته، وصار في التعارف اسما **للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة**[1]. فالعاجز مشكلته في **قدراته وإمكانياته**؛ بينما مشكلة الكسول في **همته وعزيمته.**

وَقد يكون الْعَجز ثَمَرَة الكسل فيلام عَلَيْهِ أيضا؛ فكثيرا مَا يكسل الْمَرْء عَن الشَّيْء الَّذِي هُوَ قَادر عَلَيْهِ وتضعف عَنهُ إرادته **فيفضي بِهِ إِلَى الْعَجز عَنهُ**، وَهَذَا هُوَ الْعَجز الَّذِي يلوم الله عَلَيْهِ ... وَإِلَّا فالعجز الَّذِي لم تخلق لَهُ قدرَة على دَفعه وَلَا يدْخل معجوزه تَحت الْقُدْرَة لَا يلام عَلَيْهِ[2]. وقد **عالج** القرآن ذلك العائق **ببث الأمل** في النفوس **وتذكيرها بقدرة الله** على إحياء الموات وحل المشكلات مهما عظمت.

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٣٦)

[2] مفتاح دار السعادة (١/ ١١٣)

كما يذكر القرآن بعض **الوسائل التي تحصل بها حياة القلوب وتحرر الإرادة** من العجز، كالاستجابة لله، واتباع الوحي، والتفكر في آيات الله الكونية؛ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **اسْتَجِيبُوا للهِّ وَلِلرَّسُولِ** إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤]، ويقول سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} [الروم: ٢٤]، ويقول تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ** أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ **إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى** إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فصلت: ٣٩]

ويرى ابن القيم أن العجز أصل كل الشرور، فيقول: "وَاللهُ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَيُحِبُّ الْكَيْسَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَالْكَيْسُ: هُوَ مُبَاشَرَةُ الْأَسْبَابِ الَّتِي رَبَطَ اللهُ بِهَا مُسَبَّبَاتِهَا النَّافِعَةَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَهَذِهِ تَفْتَحُ عَمَلَ الْخَيْرِ، وَأَمَّا الْعَجْزُ، **فَإِنَّهُ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ،** فَإِنَّهُ إِذَا عَجَزَ عَمَّا يَنْفَعُهُ، وَصَارَ إِلَى الْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ بِقَوْلِهِ: لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ فَعَلْتُ كَذَا، يَفْتَحُ عَلَيْهِ عَمَلَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ بَابَهُ الْعَجْزُ وَالْكَسَلُ، وَلِهَذَا اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ (ﷺ) مِنْهُمَا، **وَهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَيَصْدُرُ عَنْهُمَا** الْهَمُّ، وَالْحَزَنُ وَالْجُبْنُ، وَالْبُخْلُ وَضَلَعُ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ، فَمَصْدَرُهَا كُلُّهَا عَنِ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَعُنْوَانُهَا "لَوْ" فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «فَإِنَّ "لَوْ" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» **فَالْمُتَمَنِّي مِنْ أَعْجَزِ النَّاسِ وَأَفْلَسِهِمْ،** فَإِنَّ التَّمَنِّيَ رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ، وَالْعَجْزُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ. **وَأَصْلُ الْمَعَاصِي كُلِّهَا الْعَجْزُ،** فَإِنَّ الْعَبْدَ يَعْجِزُ عَنْ أَسْبَابِ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ، وَعَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُبْعِدُهُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَيَقَعُ فِي الْمَعَاصِي"[1]

---

[1] زاد المعاد (٢/ ٣٢٦)

ويزيد الأمر إيضاحا بحديثه عن الهم والحزن، فيقول عنهما: "وَكِلَاهُمَا مِنَ الْعَجْزِ، فَإِنَّ **مَا مَضَى** لَا يُدْفَعُ بِالْحُزْنِ؛ بَلْ بِالرِّضَى، وَالْحَمْدِ وَالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، وَقَوْلِ الْعَبْدِ قَدَّرَ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ. **وَمَا يُسْتَقْبَلُ** لَا يُدْفَعُ أَيْضًا بِالْهَمِّ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ، **فَلَا يَعْجِزُ عَنْهُ،** وَإِمَّا أَنْ لَا تَكُونَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ، **فَلَا يَجْزَعُ مِنْهُ،** وَيَلْبَسُ لَهُ لِبَاسَهُ، وَيَأْخُذُ لَهُ عُدَّتَهُ، وَيَتَأَهَّبُ لَهُ أُهْبَتَهُ اللَّائِقَةَ بِهِ، وَيَسْتَجِنُّ بِجُنَّةٍ حَصِينَةٍ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ، وَالِانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَالِاسْتِسْلَامِ لَهُ وَالرِّضَى بِهِ رَبًّا فِي كُلِّ شَيْءٍ"[1]

٤- الكسل (قلة الحوافز، وكثرة الحواجز).

فالبعض **يستثقل** أن يفتح التفسير وينظر فيه، أو يسأل أهل العلم، أو يفكر في معنى الآية قبل مطالعة كتاب التفسير؛ رغم أن الله قد **أعطاه القدرة التامة على كل ذلك لكنه لا يريد استعمالها في هذا الخير،** بل إنه للأسف **يستخدم تلك القدرات في فهم كل شيء إلا القرآن؛** فتجده مجتهدا واعيا في كل ميدان، أما إذا جاء ميدان القرآن رأيته يَدَّعي من المعوقات والمثبطات ما لا يحيط به بيان.

وهو إنما وقع في ذلك؛ **لأنه استسلم للحواجز، ولم يُكَلِّف نفسه في البحث عن الحوافز ومعرفة الجوائز،** إنه لا يدرك على الحقيقة قدر فهم القرآن، وما يستجلبه له من خير وإحسان، وما يتسبب له فيه من رضوان الرحمن.

والكسل هو **التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه**[2]. وهذا العائق قد عالجه القرآن بالمحفزات المتنوعة على الاجتهاد والنشاط، والمرهبات من الكسل والتثاقل.

---

[1] زاد المعاد (٢/ ٣٢٧)

[2] التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٨١)

ومن المناحي التي نحاها القرآن في علاج ذلك العائق **ذم التكاسل والتثاقل والتنفير منهما**؛ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ **اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ** فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا **يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ** وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة: ٣٨، ٣٩]. ويقول سبحانه: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ **نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**} [التوبة: ٨١].

والقرآن **يُنَبِّه** على أن التكاسل والتثاقل، **يوحي بكراهية الإنسان للأمر**؛ لذا ربما كان سببا في **عدم قبول الأعمال**؛ فيقول تعالى: {**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ** نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا **وَهُمْ كُسَالَى** وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا **وَهُمْ كَارِهُونَ**} [التوبة: ٥٤]

٥- الجُبْن (الخوف من تَبِعات الفهم):

كثيرٌ من الناس يهربون من الفهم **خوفا مما سيترتب عليه**؛ لأنهم يعلمون أنهم لو فهموا رسالة الله إليهم؛ فإنها ستكون سبباً في **تركهم لكثير مما يألفوه، وتجنبهم لكثير مما يشتهوه**، لذلك يهربون من الفهم كنوع من **مقاومة التغيير**.

لو فهم الآيات، سيعلم أنه ينبغي أن يترك لهو الحديث **وهو لايريد ترك لهو الحديث**، وينبغي أن ينفق من ماله ووقته وجهده وفِكْره لكنه **يريد أن يظل على ما هو عليه من بخل**، وينبغي أن يعفو ويصفح لكنه **لا يريد ذلك العفو والصفح**.

لذلك يتوقف عن الفهم؛ **تحت زَعْم** أنه لو فهم ينبغي أن يعمل بما فهمه، **والعمل صعب** وهو لا يقدر عليه الآن.

فيهرب لكن بطريقة يحاول أن يُخَدِّر فيها ضميره الذي أصبح يطالبه بفهم القرآن، فيرتكس مرة أخرى، وينتكس سلوكيا رغم أنه قد صار يفهم الآن أولوية فهم القرآن، **فَيَصْرِف كل جهده** للمباني تلاوة وحفظا، ويزعم أن ذلك أهم، وأنه باب خير أيضا، بل ويتهم مَنْ يدعوه للعودة للفهم بأنه يُثَبِّطه عن التلاوة والحفظ، ويَدَّعي أن الفهم قد عَطَّلَه عن التلاوة والحفظ.

وما أبشع أن يجحد الإنسان أمرا استيقنته نفسه خوفا من تبعات القيام به، وَجُبْنَاً عن النهوض بما يستلزمه!!! إنه داء الفراعين والمجرمين في كل زمان ومكان، فاحذروا من تسربه إليكم يا معاشر الصالحين. فقد وقع فيه الفراعين، قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: ١٤]، ووقع فيه قوم عاد، قال تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [هود: ٥٩]، ووقع فيه كفار مكة، قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام: ٣٣].

ما أبشع أن يتولى المرءُ بنفسه مخادعة نفسه، والتغرير بها، وتخديرها بأوهام هو الذي قام بنسج خيوطها!!! إنه مرض قد أهلك الكثير من المجرمين، فاحذروا منه يا معشر الصالحين؛ قال تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٤]. احذروا من اتباع الظن والأوهام والتخرصات، يقول تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام: ١٤٨].

ويقول تعالى: {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [يونس: ٣٦]، وقال سبحانه: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم: ٢٣]

وما يُدْرِك أولئك أنهم إنما يخدعون أنفسهم، ويدفنون رؤوسهم في الرمال، لأن الله يعلم أنهم يقدرون على الفهم، وَهُمْ بهروبهم هذا يزيدون المشكلة؛ لأن تركهم للعمل بالآيات خطيئة، وتركهم لتفهمها خطيئة أخرى.

فَبَدَلاً من أن يتخلصوا من واحدة من الخطيئتين، ويسددوا أحد الدَّيْنَيْن، ويستعينوا بالله على التخلص من الخطيئة الثانية، نجدهم يتركون ما يقدرون عليه (الفهم)، وَهْمَاً منهم أن ذلك سيكون سببا في عدم مؤاخذتهم بالمعجوز عنه (العمل)، وما علموا أنهم لو شرعوا في المقدور عليه، فإن الله يُيَسِّر لهم المعجوز عنه، ولو فعلوا الممكن اليوم، يصير المستحيل غدا بعون الله ممكنا.

فالجُبْنُ هيئة ... بها يُحْجِم عن مباشرة ما ينبغي[١]. ومن الوسائل التي يعالج القرآن بها الجبن؛ طمأنة الإنسان، وتذكيره بما أعده الله له من العون والكفاية؛ يقول تعالى: {أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [الزمر: ٣٦].

ويقص القرآن على الإنسان العديد من قصص الذين كانت لديهم تخوفات ومعوقات، لكنهم لما توكلوا على الله تبددت وما عاد لها وجود.

كما يبين القرآن لذلك الجبان؛ أن الذي يخوفه هو الشيطان، وأنه لا يجبن إلا ذاك الذي تولى الشيطان؛ فيقول تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥].

[١] التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٢١)

٦- البخل (عدم الرغبة في التضحية والاستسلام للواقع).

بعض الناس يتصور أنه لكي يقوم بالأمر لابد **ألا يُضَحي بشيء** من وقته أو جهده أو ماله أو ملذاته وشهواته، **بل يشترط** أن يجد في الأمر الذي نريد منه مباشرته **مزيدا من الراحة** والمتعة، وإلَّا تَوَقَّف فورا.

رغم أن ذلك الإنسان، **لا يبخل بشيء من وقته أو جهده أو ماله أو فِكْره على شيء يريد الحصول عليه من أمور الدنيا**، ويضرب في سبيل الحصول عليه أروع الأمثلة في التضحية وعدم الاستسلام للواقع، ويكابد في سبيل أمور الدنيا أصنافا من التعب، ويقاسي ألوانا من النصب.

لا يبخل بشيء من ماله أو جهده أو وقته **ليفهم شيئا يخص سيارته أو هاتفه أو منزله أو دراسته**، لكنه يبخل ببضعة جنيهات أو لحظات أو مجهودات يبذلها **ليفهم شيئا من القرآن**.

يُضَحي كثيرا - **بنفس راضية** - بجزء من راتبه، أو وقته، أو جهده، سيكون **ثمنا لفهمه لمرض يهدد الأبدان**، ويتأسف كثيرا على جزء من ماله، أو وقته، أو جهده، **ضَحَّى به ليفهم آية أو سورة كانت تناقش مرضا يهدد الإيمان**. وإن لم يتأسف أو يحزن وقع في **الافتخار، ومَنَّ ببذله** من وقته أو ماله أو جهده.

ألا يستحق القرآن أن نُضحي لأجله بأموالنا، ونبذل لأجله من أوقاتنا، ولا نبخل في سبيل خدمته بشيء من جهودنا وأفكارنا؟!!!

واهمٌ ذلك الذي يظن أن الراحة تُنَال بالراحة، وأن النعيم يُدْرَك بالنعيم، وأن السعادة من نصيب من آثر الوسادة، وأن المكارم يُتَوَصَّل إليها بلا مكاره. مَنْ طلب العلا سهر الليالي، ومَن يخطب الحسناء لم يُغْلِها المهر العالي.

قال ابن القيم: "الْمَصَالح والخيرات وَاللَّذَّات والكمالات **كلهَا**، لَا تنَال إِلَّا بحظ من الْمَشَقَّة، وَلَا يعبر إِلَيْهَا إِلَّا على **جسر من التَّعَب**. وَقد **أجمع عقلاء كل أمة** على أَن النَّعيم لَا يدْرك بالنعيم، وَإِن من آثر الرَّاحَة فَاتَتْهُ الرَّاحَة، وَإنه بِحَسب ركُوب الْأَهْوَال وإحتمال المشاق **تكون الفرحة واللذة**، فَلَا فرحة لمن لَا هم لَهُ، وَلَا لَذَّة لمن لَا صَبر لَهُ ... وَلَا رَاحَة لمن لَا تَعب لَهُ، بل **إِذا تَعب العَبْد قَلِيلا استراح طَويلا، وَإِذا تحمل مشقة الصَّبْر سَاعَة قَادَهُ لحياة الْأَبَد**، وكل مَا فِيهِ أهل النَّعيم الْمُقِيم فَهُوَ **صَبر سَاعَة** ... وَكلما كَانَت **النُّفُوس أشرف والهمة أعلى**، كَانَ تَعب الْبدن أوفر، وحَظّه من الرَّاحَة أقل" [1]

والبخل هو **إمساك المقتنيات عما لا يحل حبسها عنه**. والبخيل من يكثر منه البخل، والبخل ضربان: بخل بقنياته، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرها ذما. والبخل شرعا **منع الواجب**[2]. وقيل: البخل؛ **منع الفضل والإمساك عن البذل**[3].

ومما يعالج به القرآن البخل؛ التأكيد على أن البخل يضر البخيل ولا ينفعه، **فهو شر له**، وما يظنه من كون البخل خير له **مَحْضُ وَهْمٍ لا حقيقة له**، ويكفي أن بخله يكون سببا **لعذابه في الآخرة**، فيقول تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ **بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران: ١٨٠].

[1] مفتاح دار السعادة (٢/ ١٥)

[2] التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٧٢)

[3] معجم لغة الفقهاء (١/ ١٢٣)

وفي الوقت الذي يتوهم البخيل أنه **إنما يبخل لنفسه**، يؤكد له القرآن أنه إنما **يبخل عنها لا لها**، فقد بخل عن نفسه **بالأجر**، وكل ما رتبه الله من **ثواب على الخير**، **وحَرَمَها** من فضل الغني سبحانه، **وعَرَّضَها** لزوال النعمة؛ فيكون بذلك قد ضر نفسه ولم ينفعها، يقول تعالى: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ **وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ** وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: ٣٨].

ويهدد الله البخلاء الزاهدين في الاستغناء بالله، **بتعسير أمورهم، وحرمانهم من التوفيق، والتردي في المهالك في الدنيا والآخرة**؛ فيقول تعالى: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا **تَرَدَّى**} [الليل: ٨ - ١١]

كما يَذُمُّ البخلاء ويبين أن **البخل قد يوقع صاحبه في النفاق** والعياذ بالله؛ فيقول تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَّ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ **بَخِلُوا بِهِ** وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ** إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَّ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [التوبة: ٧٥ - ٧٧]

٧- الهم (الانشغال بالقلق على ما هو آت).

بعض الناس تجده يقلق من أن يتسبب انشغاله بالفهم عن **التمكن من ختم القرآن تلاوة أو حفظا**؛ رغم أن **ما هو فيه أولى وأهم مما هو قَلِقٌ عليه**؛ إننا نقلق من انقضاء العمر أو الوقت المتاح وما انتهينا من ختمة تلاوة أو تجويد أو حفظ، ولا نقلق من فوات فرصة **الانتهاء من ختمة تفهم أو تدبر أو اتباع**، عجباً لنا **نقلق على المباني، ولا نقلق على المعاني!**

المهم أن نموت في داخل الطريق؛ لأننا لا نأمن أن نصل إلى آخره، فهل نترك ما وَصَّانا الله بتقديمه من العناية بالمعاني تفهما وتدبرا واتباعا، زاعمين أن ما دفعنا لذلك هو القلق على المباني؟!

وهناك من الناس مَنْ يحول بينه وبين الشروع في التفهم والاستمرار فيه، **الخوف من انقضاء الفرصة أو انتهاء العمر**، متوهما أن الانشغال بالمباني أكثر أجرا وأسرع في تحصيل المنازل العالية.

لكن بعيدا عن تلك الهموم المتعلقة بالقرآن، **هناك هموم أخرى تتعلق بحياة الإنسان**؛ حيث يؤخر الشروع في ختمة الفهم أو يوقفها؛ بسبب قلقه **وانشغال باله ووقته** بأمر ينتظره أو يشغله في الوقت الحالي من عمل أو دراسة أو ظروف اجتماعية، فَيَضْعُف عَزْمُه، وتَفْتُرُ هِمَّتُه عن أي شي نافع. ويغفل هذا المسكين عن أن **القرآن هو أقرب الطرق لتفريج الكروب وتبديد الهموم وتيسير الأمور**.

فتجد المسكين يعيش **فريسة للهموم والأشغال**، فتسأله عن تقصيره في تفهم القرآن، **يتعلل بهمومه وانشغالاته، ويَعِدُك** بأن يشرع فورا في تفهم القرآن بعد انقضاء تلك الهموم والانشغالات، ولا يكاد الهم الأول يلفظ أنفاسه الأخير، حتى يُوْلَد هم جديد، ولا يدرك المسكين أن **الهموم والانشغالات لا تنتهي أبدا** طالما أنه على قيد الحياة، وتلك اللحظة التي ينتظر فيها أن يتفرغ **لن تأتي أبدا**، فلابد من **مزاحمة وتبديد** تلك الهموم والانشغالات **بالهم بالقرآن والانشغال به**.

والهم بالفتح: أول العزيمة، وعقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر، **والحزن والقلق**[1].

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٤٤)

وقال في الفروق: "الْهم هُوَ الْفِكر فِي إِزَالَة الْمَكْرُوه واجتلاب المحبوب"[1]، ويقول ابن القيم: "الْمَكْرُوهُ الَّذِي يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ، إِنْ كَانَ لِمَا يُسْتَقْبَلُ أَوْرَثَهُ الْهَمَّ"[2]

فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ لَا يَنْفَعَانِ الْعَبْدَ الْبَتَّةَ، بَلْ مَضَرَّتُهُمَا أَكْثَرُ مِنْ مَنْفَعَتِهِمَا، فَإِنَّهُمَا يُضْعِفَانِ الْعَزْمَ، وَيُوهِنَانِ الْقَلْبَ، وَيَحُولَانِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الِاجْتِهَادِ فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَيَقْطَعَانِ عَلَيْهِ طَرِيقَ السَّيْرِ، أَوْ يُنَكِّسَانِهِ إِلَى وَرَاءٍ، أَوْ يَعُوقَانِهِ وَيَقِفَانِهِ، أَوْ يَحْجُبَانِهِ عَنِ الْعِلْمِ الَّذِي كُلَّمَا رَآهُ شَمَّرَ إِلَيْهِ، وَجَدَّ فِي سَيْرِهِ، فَهُمَا حِمْلٌ ثَقِيلٌ عَلَى ظَهْرِ السَّائِرِ[3].

ومما يعالج القرآن به الهم؛ التأكيد على أن الهموم تنتحر على بوابة الطاعات، وأن السكينة والطمأنينة تتنزل على المجتهدين في الصالحات؛ فيقول تعالى: {فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠]، ويقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح: ٤].

كما يحول القرآن بين النفوس وبين تسرب أدنى هم إليها بالتأكيد على أن الله يتولى أهل طاعته ويبدلهم من بعد همهم سعادة وطمأنينة وفرحا وسكينة؛ فيقول جل جلاله: {وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ١٢٦]. ويحض القرآن على بعض العبادات التي تدفع الهم وتبعث الطمأنينة، كذكر الله سبحانه؛ فيقول تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨]

[1] الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٦٦)
[2] مدارج السالكين (١/ ٥٠١)
[3] زاد المعاد (٢/ ٣٢٧)

٨- الحزن (الانشغال بالتأسف على شيء فات).

نجد حزن بعض الناس على أنه **أمضى الكثير من وقته أو جهده بعيدا عن القرآن،** يدفعه أحيانا لأن يهتم بالمباني ويهمل المعاني؛ **لتوهمه أن المباني أسرع في تعويض خسارته التي تحزنه كثيرا كلما تذكرها.**

وهذا مدخل من مداخل الشيطان نجح من خلاله في صَرف تلك الرغبة الجامحة في تعويض الخسارة إلى أمر نافع **لكنه ليس الأنفع،** ورائع **لكنه ليس الأروع؛** لأنه يعلم أنه لو اعتنى بالمعاني فسيكون **الأجر أكبر، والأثر أظهر،** والعاقبة أفضل؛ لأنه سيفوز بالمعاني والمباني معا.

وهناك أحزان، لا علاقة لها بالقرآن، أحزان بسبب إخفاقات، أو أموات، أو فوات مرغوبات، وتظل تلك الأحزان عائقا عن الشروع في تفهم القرآن أو الاستمرار فيه؛ حيث يُخَيِّم **الإحباط** على ذلك الحزين، ويتركه **وَاهِنَ** العزيمة، **فَاتِر** الهمة، **زاهدا** في أي شيء آخر غير ذلك الذي أحزنه فواته.

وإذا دعوته للعناية بمعاني القرآن **تعلل بأحزانه** وأوجاعه وابتلاءاته، **ووعد** بأن يشرع في العناية بمعاني القرآن بعد جلاء تلك الأحزان، ولا تكاد نار حزنٍ تنطفئ في القلب حتى تبدأ شرارات نار حزنٍ جديد في الظهور؛ لأن **الأحزان لا تنتهي والدنيا دار كدر،** ومَنْ انتظر يوما لا أحزان فيه كأنما ينتظر يوم وفاته.

ويغفل ذلك المسكين عن أن **القرآن هو جلاء الأحزان؛** فقد نجح الشيطان في **هزيمته مرتين:**

الأولى: يوم أحزنه وأقعده وأحبطه.

والثانية: يوم صَرَفَه عن معاني القرآن التي تنجلي بها تلك الأحزان.

الحزن: بالضم، **الغم** الحاصل لوقوع **مكروه** أو **فوات** محبوب في **الماضي**. وقيل: **انكسار** الفؤاد لفوات المراد، وقيل: **زوال قوة** القلب لدوام وارد الكرب[1]. وقال في الفروق: "الْحزن **تكاثف الْغم وغلظه**"[2] وقال الهروي: "الْحُزْنُ **تَوَجُّعٌ** لِفَائِتٍ، **وَتَأَسُّفٌ** عَلَى مُمْتَنِعٍ"[3]

يقول ابن القيم: "وَلَمْ يَأْتِ الْحُزْنُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا **مَنْهِيًّا عَنْهُ، أَوْ مَنْفِيًّا** ... وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الْحُزْنَ ... **لَا مَصْلَحَةَ فِيهِ لِلْقَلْبِ، وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الشَّيْطَانِ** أَنْ يَحْزَنَ الْعَبْدُ لِيَقْطَعَهُ عَنْ سَيْرِهِ، وَيُوقِفَهُ عَنْ سُلُوكِهِ"[4]. ويقول: "الحزن **يضعف القلب ويوهن العزم، ويضر الإرادة** ... فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره"[5]

والرب العلي سبحانه يؤكد أن المؤمن ما ينبغي له أن ينحط إلى الحزن المقعد عن العمل والمصاحب للهوان؛ لأنه **أعلى بإيمانه دوما من كل تلك السفاسف**؛ فيقول تعالى: {وَلَا تَهِنُوا **وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ** إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]

ويُبَيِّن الله أن **الشيطان يريد للحزن دوما أن يُخَيِّم على حياة المؤمن ليعوقه عن العمل**؛ لكن الرب الرحيم سبحانه يرشد عبده المؤمن لما يدفع به الحزن ويحصنه مما يجلبه من شر ألا وهو **التوكل عليه سبحانه**؛ فيقول تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى **مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا** وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ **فَلْيَتَوَكَّلِ** الْمُؤْمِنُونَ} [المجادلة: ١٠]

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٣٩)

[2] الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٦٧)

[3] مدارج السالكين (١/ ٥٠٣)

[4] مدارج السالكين (١/ ٥٠١)

[5] طريق الهجرتين (ص: ٢٧٩)

ويعرض لنا القرآن مشهدا أطل فيه الحزن برأسه محاولا بث الإحباط وإشاعة القعود في نفس النبي (ﷺ) وصاحبه أبي بكر؛ ويرشدنا إلى أن **الاستعصام بالله واليقين في معيته والتعلق به يبدد كل أوهام الحزن؛** فيقول تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا** فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهَّ هِيَ الْعُلْيَا وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠]، **فتأمل كيف كانت عاقبة الاستعصام بالله؟ وكيف كان مصير الحزن؟ وكيف تَبَدَّل سكينة وتأييدا ونصرا؟**[1]

ويعرض لنا القرآن صورة أخرى **لمنهج الأنبياء في دفع الحزن ورفعه؛ حينما يحدثنا عن يعقوب** (ﷺ) **لما** قال: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهَّ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهَّ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف: ٨٦]، **فكان عاقبة ذلك أن بدد الله حزنه ورد إليه يوسف.**

وأم موسى لما تيقنت في معية الله، واستعصمت به وحده، وأطاعت أمره، بَدَّدَ الله حزنها، وَرَدَّ لها وليدها، يقول تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي **وَلَا تَحْزَنِي** إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧]، ويقول سبحانه: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا **وَلَا تَحْزَنَ** وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ} [القصص: ١٣]

---

[1] يقول ابن القيم في طريق الهجرتين (ص: ٢٨٠): "فإن من عرف الله أحبه ولا بد، ومن أحبه انقشعت عنه سحائب الظلمات، **وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان،** وعَمَّرَ قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب، فإنه لا حزن مع الله أبداً، ولهذا قال تعالى حكاية عن نبيه (ﷺ) أنه قال لصاحبه أبي بكر: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠]، فدل أنه **لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه فما له وللحزن؟** وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأي شيء يفرح؟"

ويُنَفِّرُ الله عباده من الحزن، بالتأكيد على أنه **لايؤثر فقط في القلب ويكبل عزمه، بل يؤثر أيضا في الجسد حتى يعوقه، ويؤثر في النفس ويدخل عليها الغم والكرب،** فيحدثنا عما أحدثه الحزن في يعقوب (ﷺ) وهو نبي، **فما بالكم بمن هم دونه؟** فيقول تعالى: {وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ **مِنَ الْحُزْنِ** فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: ٨٤]، وَالْكَظِيمُ: مُبَالَغَةٌ لِلْكَاظِمِ. وَالْكَظْمُ: الْإِمْسَاكُ النَّفْسَانِيُّ، أَيْ كَاظِمٌ لِلْحُزْنِ لَا يُظْهِرُهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَبْكِي فِي خَلْوَتِهِ، أَوْ هُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ مَحْزُونٍ كَقَوْلِهِ: وَهُوَ مَكْظُومٌ[1]. وقال في الجلالين: "{فَهُوَ كَظِيم} مَغْمُوم مَكْرُوب لَا يُظْهِر كَرْبه"[2]

كما يُسَلِّي القرآن المسلم، **ويُبَشِّره بذهاب الحزن في دار السعادة الأبدية بالاجتهاد في تجنبه هنا، ويدعوه إلى التعلق بالله ليدفع عنه الحزن؛** فيقول تعالى عن أهل الجنة: {وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي **أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ** إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٣٤]، قال ابن عاشور: "والْحَزَنَ **الْأَسَفُ**"[3]، وقال ابن كثير: "وَهُوَ **الْخَوْفُ مِنَ الْمَحْذُورِ**، أَزَاحَهُ عَنَّا، وَأَرَاحَنَا مِمَّا كُنَّا نَتَخَوَّفُهُ، وَنَحْذَرُهُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[4]

ويدعو ربنا إلى اتباع هداه، وفعل مايحبه ويرضاه، ويذكر لنا جملة من الأعمال التي **تعصم من الحزن وتعالج المصاب به؛** فمنها **اتباع الوحي**؛ فيقول تعالى: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [البقرة: ٣٨]. ومنها **الإيمان والتقوى**، يقول تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢) الَّذِينَ **آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

---

[1] التحرير والتنوير (١٣/ ٤٣)

[2] تفسير الجلالين (ص: ٣١٦)

[3] التحرير والتنوير (٢٢/ ٣١٦)

[4] تفسير ابن كثير (٦/ ٥٥١)

ويقول سبحانه: {وَيُنَجِّي الله الَّذِينَ **اتَّقَوْا** بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [الزمر: ٦١]. ومنها **التقوى والإصلاح**، يقول تعالى: {فَمَنِ **اتَّقَى وَأَصْلَحَ** فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [الأعراف: ٣٥].

ومنها **الإيمان والإصلاح**، يقول جل جلاله: {فَمَنْ **آمَنَ وَأَصْلَحَ** فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [الأنعام: ٤٨].

ومنها **الإيمان والعمل الصالح**؛ يقول سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ **وَعَمِلَ صَالِحًا** فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [البقرة: ٦٢].

ومنها **التوحيد والاستقامة**، يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ **قَالُوا** رَبُّنَا الله ثُمَّ **اسْتَقَامُوا** فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [الأحقاف: ١٣].

ومنها **الإخلاص والاستسلام والإحسان**، يقول سبحانه: {بَلَى مَنْ **أَسْلَمَ وَجْهَهُ** لِلَّهِ وَهُوَ **مُحْسِنٌ** فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [البقرة: ١١٢]

ومنها **إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة**، يقول جل جلاله: {إِنَّ الَّذِينَ **آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ** لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [البقرة: ٢٧٧].

ومنها **الإنفاق في سبيل الله ليلا ونهارا، سرا وجهارا**، يقول تعالى: {الَّذِينَ **يُنْفِقُونَ** أَمْوَالَهُمْ **فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا **مَنًّا وَلَا أَذًى** لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [البقرة: ٢٦٢]، ويقول سبحانه: {الَّذِينَ **يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً** فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [البقرة: ٢٧٤]

٩- غلبة الدين.

١٠- قهر الرجال.

والعائقان التاسع والعاشر مشكلتهما الرئيسية في **الانشغال اللاإرادي الشديد** لصاحبهما، وسيطرتهما عليه بشكل كبير يجعلهما يبعثان في نفسه كراهية كل ما حوله، **ورغبته في الهروب منه**. فتلك العوائق الخارجية سواء كانت **مادية أو مالية (القهر والضلع أو الغلبة)**، تكمن مشكلتها الرئيسية في أنها ليست مشكلة خارجية محضة، بل لها شِقٌّ داخلي نفسي.

فالديون تستجلب **الهموم والغموم والأحزان**، وربما أوقعت في مناكير. فقد كان (ﷺ) يستعيذ من المأثم والمغرم في الصلاة، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: **مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ**، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ **حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**»[١]. وقال (ﷺ) لِأَصْحَابِهِ: "**لَا تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا**"، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَبِمَ نُخِيفُ أَنْفُسَنَا؟ قَالَ: "بِالدَّيْنِ"[٢]

أما القهر والظلم فإنه **يستجلب الحسرات والأحزان والهموم**، ويجعل صاحبه أسير فكرة واحدة، وتتمحور حياته حول ما يتعرض له من قهر وظلم.

---

[١] صحيح البخاري (٣/ ٤٠٦)

[٢] رواه أحمد (١٧٣٥٨)، وحَسَّنه الأرناؤوط، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٧٢٥٩)

الخطة التشغيلية لتبديد عوائق الفهم

ورغم أن هذه العوائق قد تبدو كبيرة؛ إلا أن الله **أكبر**، ورغم أنها قد تبدو كثيرة وخطيرة إلا أن الله **أقوى وأقدر**.

وفي قاموس المسلم **المستعصم بالله**، لا وجود لكلمة **صعب أو مستحيل**؛ لأنه لا يجابه الصعاب أو المستحيلات بقوته هو بل **بقوة ربه القوي**، ولا بقدرته هو بل **بقدرة ربه القدير**، ولا بغناه هو بل **بغنى ربه الغني**؛ لأنه يدرك باختصار أنه **(لا حول ولاقوة إلا بالله)**.

فالرب القوي الذي قَوَّاه على الشيء **الصغير**، سيقويه على الشيء **الكبير**، والرب القدير الذي أعطاه القدرة على الشيء **اليسير**، سيعطيه القدرة على الشيء **العسير**.

فالصغير والكبير، واليسير والعسير، **تصنيفات الأمور بالنسبة لنا نحن**، أما بالنسبة لربنا سبحانه **فلا شيء كبير**، الكل صغير، **ولا شيء عسير**، الكل يسير، الكل عند ربنا كما قال سبحانه عن نفسه **{هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ}** [مريم: ٩]. لذلك فقد وَصَّى الله عباده بالتوكل عليه وحده؛ فقال تعالى حوالي **سبع مرات** في كتابه الكريم: {**وَعَلَى اللّٰهِ** فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

فإذا توكل المسلم على ربه في إزالة تلك العوائق وتبديدها والتحصن منها، يكفيه الله إياها ويبلغه ما أراده من السلامة منها؛ قال ربنا: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ **حَسْبُهُ** إِنَّ اللّٰهَ **بَالِغُ أَمْرِهِ**} [الطلاق: ٣].

وليس هذا فَحسب بل يكفيه **بتمام العزة والحكمة**؛ فلا يعجزه سبحانه شيء ولا يستعصي عليه شيء، ويضع الشيء في موضعه، ويعز المتوكلين عليه، ويمنحهم الحكمة؛ قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ **فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } [الأنفال: ٤٩]

والتوكل يستلزم صدق **اعتماد القلب** على الله في دفع المرهوبات وطلب المرغوبات، مع استفراغ الوسع في **الأخذ بالأسباب** التي تبدد تلك العوائق[1].

ومن الأسباب الشرعية الدعاء؛ وقد صحت عن الحبيب (ﷺ)أدعية كان يكثر منها في أوراد الصباح والمساء **وغيرها**، أعتقد أنها كافية في تبديد تلك العوائق والإجهاز عليه.

الأول: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ **أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي** شَأْنِي كُلَّهُ، **وَلَا تَكِلْنِي** إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ"، في أذكار الصباح والمساء[2].

فَتَأَمَّل كيف يتسبب ذلك الدعاء في **استجلاب ولاية الله للعبد وعونه له**! تَأَمَّل ما فيه من افتقار إلى الله، وتوكل عليه، واستغاثة به لإصلاح الشأن كله.

والثاني: "اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ **عِلْمًا** نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، **وَعَمَلًا** مُتَقَبَّلًا"، في أذكار الصباح والمساء[3].

فهذا الدعاء كفيلٌ بتبديد نقص القوة (**العلمية**)؛ حيث يطلب الإنسان فيه (**العلم**)، وكفيل بتبديد نقص القوة (**العملية**)؛ حيث يطلب الإنسان فيه (**الرزق الطيب، والعمل المُتَقَبَّل**)، ويطلب أن يكون علمه (**نافعا**)، والعلم النافع هو الذي يدفع صاحبه للعمل به؛ فإن لم يعمل به لا يكون نافعا.

والثالث: «اللهمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ **الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»[4].

---

[1] انظر: الفوائد لابن القيم (ص: ٨٧)

[2] رواه الحاكم (٢٠٠٠)، انظر: صَحِيح الجَامِع (٥٨٢٠)

[3] رواه أحمد (٢٦٧٧)، وحسنه الألباني في تمام المنة (ص٢٣٣)

[4] صحيح البخاري (١٧٥/٢١).

ووصف أنس هذه الدعوات بعدة أوصاف[1] منها أن النبي (ﷺ) كان (**يُكْثِرُ** أَنْ يَقُولَهَا)، ومنها أنه (ﷺ) كان (**لَا يَدَعُهُنَّ**). وكان (ﷺ) يدعو في أذكار **الصباح والمساء**: "رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ **الْكَسَلِ**، وَالْهَرَمِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ"[2]. ومما كان (ﷺ) يدعو به **بعد الصلاة**: "اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ **الْبُخْلِ**، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ **الْجُبْنِ**، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"[3]

وهذه الأدعية كفيلةٌ بتبديد العوائق الثمانية التي جاء ذكرها والإجهاز عليها؛ فقد قال ابن القيم: "فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ **أَخَوَانِ**، وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ **أَخَوَانِ**، وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ **أَخَوَانِ**، وَضَلَعُ الدَّيْنِ وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ **أَخَوَانِ**، فَإِنَّ **الْمَكْرُوهَ الْمُؤْلِمَ** إِذَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَمْرًا مَاضِيًا، فَيُوجِبُ لَهُ **الْحُزْنَ**، وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُتَوَقَّعًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَوْجَبَ **الْهَمَّ**، **وَتَخَلُّفُ الْعَبْدِ عَنْ مَصَالِحِهِ** وَتَفْوِيتُهَا عَلَيْهِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ، وَهُوَ **الْعَجْزُ**، أَوْ مِنْ عَدَمِ الْإِرَادَةِ، وَهُوَ **الْكَسَلُ**، **وَحَبْسُ خَيْرِهِ وَنَفْعِهِ** عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ بَنِي جِنْسِهِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَنَعَ نَفْعَهُ بِبَدَنِهِ فَهُوَ **الْجُبْنُ**، أَوْ بِمَالِهِ فَهُوَ **الْبُخْلُ**، **وَقَهْرُ النَّاسِ لَهُ**، إِمَّا بِحَقٍّ فَهُوَ **ضَلَعُ الدَّيْنِ**، أَوْ بِبَاطِلٍ فَهُوَ **غَلَبَةُ الرِّجَالِ**. فَقَدْ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ **الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ**"[4]. هذا جزء يسير من الأذكار، **فما بالكم ببقية الأذكار؟ وما بالكم ببقية أوراد الإنسان** من صلاة ودعاء وتلاوة قرآن وغيرها؟

[1] انظر: صحيح البخاري (٧/ ٧٦)، سنن النسائي (٨/ ٢٥٧)، وصححه الألباني.

[2] صحيح مسلم: ٧٤، ٧٥ - (٢٧٢٣)، وصحيح ابن حبان (٩٦٣)، وصححه الأرناؤوط.

[3] صحيح البخاري (٦٠٠٤، ٢٦٦٧)

[4] زاد المعاد (٤/ ١٩١)

كيف نفهم القرآن؟

هذا سؤال لا أعتقد أننا بِحَاجَةٍ إليه؛ لكنني مُضْطَرٌّ للإجابة عليه.

أمَّا لماذا أعتقد أننا لَسْنا بِحَاجةٍ إليه؟ فلأنني أؤمن أن **المفروضات مَقْدورات ميسورات**، وأن الله طالما افترض علينا أمرا، فكل ما نحتاج إليه من قدرات – بل ومهارات – قد آتانا الله إياه على أكمل صورة؛ فقد قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا **مَا آتَاهَا**} [الطلاق: ٧]

بل إنني أرى أن كل أمر أمَرَنا الله به؛ فإنه سبحانه قد أعطانا من القدرة عليه قدرا **أوسع بكثير مما يحتاج إليه الأمر** لِيَتَمَّ على أكمل حال، وهذا ما أفهمه من قوله تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا **وُسْعَهَا**} [البقرة: ٢٨٦]. وقال ابن حزم: "**فلولا أن في وسعكم الفهم لأحكام القرآن ما أمَرَكم بتدبره** ... فليت شعري كيف قَصُرَت عقولكم **عن فهم** ما افترض الله تعالى عليكم تدبره والأخذ به ... وقد أَيْقَنَّا أن الله عز وجل لا يأمرنا بشيء **إلا وقد سَبَّبَ لنا طُرُقَ الوصول إليه وسَهَّلَهَا وبيَّنَها**"[1].

وفي رأيي أن **ما آتانا الله إياه من قدرات يَسَعُ ما وَصَّانا به مِنْ تكليفات**، ونسبة ما تحتاجه التكليفات من قدرات، بالنسبة لما آتانا الله إياه من قدرات، ربما كانت كالحلقة بالنسبة للصحراء الواسعة.

وهذه مسألة مهمة لابد من الإيمان بها أولا؛ لِيُوَطِّن كل واحدٍ منا نفسه على أن يكون منهجه مع ما أمره الله به **{سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}** [البقرة: ٢٨٥]؛ وذلك لإيمانه أن الله طالما كَلَّفه، فهو ولاشك سبحانه قد آتاه ما يقدر به على الإتيان بهذا التكليف على أكمل وجه، بل آتاه ما هو أكبر من هذا التكليف من ناحية القدرة والاستطاعة.

[1] الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٦/ ١٣٢)

القضية باختصار، أننا ينبغي أن نعترف أن **المشكلة ليست في** أننا تنقصنا قدرات أو مهارات أو خبرات؛ فإن كل ذلك النقص ينجبر بسهولة بإذن الله، **المشكلة الحقيقة** أننا تنقصنا (إرادات)، تنقصنا الدافعية (الهِمَّة القوية، والعزيمة الحديدية) التي تجعلنا نتخطى العقبات، ونتجاوز المشكلات، ونأخذ الأمر بحقه.

كيف تتولد الدافعية (الهمة القوية، والعزيمة الحديدية)؟

وتلك الدافعية (أو الهِمَّة) ترتكز في توليدها وتأسيسها على ركيزتين أساسيتين؛ لا غنى لها عنهما **في البداية**، بل لا غنى لها عن استصحابهما **حتى النهاية**.

الركيزة الأولى (النِيَّة)، وأنا أعني ما ذكرته حرفيا، **النِيَّة وليست الأمنية**؛ لأن الأماني لن تغني عن الإنسان شيئا، فالكل يتمنى، بل ربما ساعده الشيطان على التمني؛ ليقع في **الاغترار**؛ فيُسَوِّف ويُطِيل الأمل، رغم أنه يُسيء العمل.

قال تعالى عن الشيطان: {يَعِدُهُمْ **وَيُمَنِّيهِمْ** وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: ١٢٠]، وذَكَرَ رَبُّنَا أن بعض أهل النار لـمَّا يستغيثوا يُقَالُ لهم: {وَغَرَّتْكُمُ **الْأَمَانِيُّ** حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ} [الحديد: ١٤].

وأورد ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن جماعة من العلماء كابن المبارك والفضيل وغيرهما أنهم قالوا: «أَوَّلُ الْعِلْمِ **النِّيَّةُ**»[١]

أنا أُصَدِّقُكَ في أنك تتمنى أن تفهم القرآن كله؛ لكنني لابد أن أُحَذِّرك، وأخبرك أن **أمنيتك وحدها لا تكفي**؛ لذا إذا أردنا تحويل تلك الأمنية إلى نيّة؛ فلابد أن تستوفي رغبتنا هذه **شروط** (النية)، أو السمات الُمَيِّزة للنية وهي باختصار، أن تكون النية (**صافية، صالحة، صادقة**)

[١] جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٧٦)

(١) **صافية**: أي خالصة لله وحده لاشريك له، قد تم تخليصها من أي غرض أو مقصد آخر. باختصار، أن تكون إرادتك أن تفهم القرآن لسبب واحد (**أن يرضى الله**؛ لأنه يحب ذلك، وقد أمر به)، **وأن تتخلص تماما** من الأغراض الأخرى، كالرغبة في أن تفهم لتتميز بين الآخرين وتفتخر بذلك، أو ليكون حفظك أمتن فتسبق غيرك وتستعلي عليه، أو لتبين لمن يتهمونك بأنك تحفظ بلا فهم أنك تفهم مثلهم وأفضل منهم.

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا **يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ**، مَالَهُ؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**لَا شَيْءَ لَهُ**"، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: "لَا شَيْءَ لَهُ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ **خَالِصًا لَهُ، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**"[١]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، **وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا**؟

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**لَا أَجْرَ لَهُ**"، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ الله ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفْهِمْهُ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: "لَا أَجْرَ لَهُ"، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ: "لَا أَجْرَ لَهُ"[٢]

---

[١] صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٣٣١)

[٢] صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٣٢٩)

وقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ - عز وجل - لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا **لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا**، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]

وقال ﷺ أيضا: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ **لِيُجَارِيَ** بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ **لِيُمَارِيَ** بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ **لِيَصْرِفَ** وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ"[2]

(٢) صالحة، ونقصد بذلك أن تكون النية **مشروعة،** أي قد شرعها الله، وفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونية فهم القرآن مشروعة والحمد لله، **ودرجة مشروعيتها** الوجوب على القادر.

(٣) صادقة؛ ونقصد بذلك أن **يستفرغ الإنسان وسعه في الأخذ بالأسباب المشروعة؛ ليكون الحال موافقا للمقال،** أو يمكننا القول بعبارة أخرى، أن الصدق هو **بذل أقصى الجهد في اتباع النبي** ﷺ في الأمر الذي تنوي إتمامه؛ لأن ما فعله النبي ﷺ هو أقصر وأكمل الطرق للوصول إلى المقصود.

فلا يكفي في النية التي تنفع صاحبها مجرد الإخلاص بل لابد من الصدق؛ لأنه هو **البرهان العملي،** والدليل الفعلي، وهو الخطوة الأساسية في تحقق مايريده الإنسان ويتمناه؛ لأن سُنَّة الله اقتضت أنك (**إِنْ تَصْدُقِ الله، يَصْدُقك**).

أما الركيزة الثانية، فهي (الأهمية والحتمية)؛ لأن الإنسان كلما زاد إدراكه لأهمية وحتمية الشيء كلما زادت دافعيته للعناية به؛ ولذلك لابد من الاستحضار الدائم لأهمية وحتمية وضرورية وفرضية (فهم القرآن)، ويكفي في ذلك أن نعلم أن **أكثر ما أمر الله به فيما يتعلق بكتابه هو (تفهمه).**

---

[1] صَحِيح الْجَامِع (٦١٥٩)

[2] صَحِيح الْجَامِع (٥٩٣٠، ٦١٥٨، ٦٣٨٢)

وذلك **لأن** كل الأوامر بتدبر القرآن، وتعقله، والتفكر فيه، والتبصر به، والاعتبار به، والاتعاظ به، والانزجار به، والتذكر به، واتباعه، والتزكي به، والاستمساك به، والاعتصام به، وتحكيمه، والاستشفاء به، وتعليمه والدعوة إليه، كل تلك الأوامر **أوامر ضمنية بتفهم القرآن؛** لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ قال الطبري: "**محالٌ** أن يُقال لمن لا يفهمُ ما يُقال له ولا يعقِل تأويلَه: اعتبرْ بما لا فَهْم لك به ... إلا على معنى **الأمر بأن يفهمَه ويفقَهَه،** ثم يتدبَّره ويعتبرَ به. فأما قبلَ ذلك، **فمستحيلٌ** أمرُه بتدبره وهو بمعناه جاهل"[1]

إخواني وأخواتي! والله **إن فهم القرآن الكريم، هو باب عظيم من النعيم، لا يُفَرِّط فيه إلا خاسر محروم.** فإن الواحد منا إذا قرأ كتابا لأحد المخلوقين، يتحدث فيه عن نفسه، ويوصي القراء فيه ببعض الوصايا النافعة، فإنه يزداد لذلك الكاتب حبه، ويزداد قربه من قلبه، ويزداد تعظيمه له وتقديره حق قدره.

وإذا تأملنا فيما جعل ذلك الإنسان يخرج بتلك الأشياء من قراءته للكتاب؟ نجد أن السبب بلا نزاع أنه قد **فهم الكتاب ووعى ما جاء فيه.** فما بالكم إذا فهم المسلم كتاب الله، ووعى مافيه! كيف سيكون حُبُه لِرَبِّه؟ كيف سيكون تَنَعُمُه بِقُرْبِه؟ كيف سيكون قدرُ رَبِّه في قلبه؟ يقول شيخ الإسلام: "وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ الْمُؤْمِنُ إذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ زَادَ فِي قَلْبِهِ **بِفَهْمِ الْقُرْآنِ وَمَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ** مِنْ عِلْمِ الْإِيمَانِ مَا لَمْ يَكُنْ؛ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ الْآيَةَ إلَّا حِينَئِذٍ وَيَحْصُلُ فِي قَلْبِهِ مِنْ الرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ وَالرَّهْبَةِ مِنْ الشَّرِّ مَا لَمْ يَكُنْ؛ فَزَادَ عِلْمُهُ بِاَللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ لِطَاعَتِهِ **وَهَذِهِ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ**"[2]

---

[1] تفسير الطبري (١/ ٨٢)

[2] مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٨)

لماذا الاضطرار؟

فإذا كان الأمر كما مضى، فلماذا إذن، أَجِدُ نفسي مضطرا للإجابة على سؤال: كيف نفهم القرآن؟

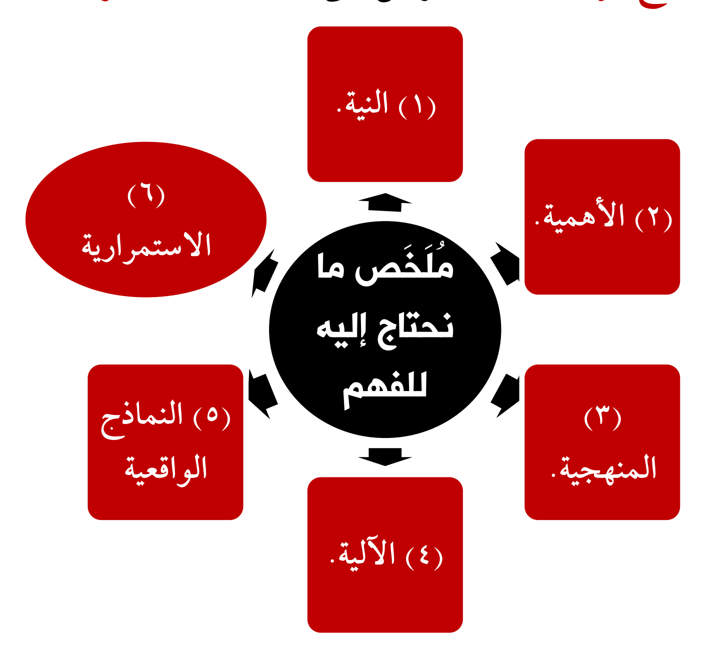
أولا: لأنني لا أنكر ولا أنفي أن هناك من المسلمين، من ليست لديه أزمة مفاهيمية، ولديه دافعية قوية، ونية صادقة حقيقية، لأن يفهم القرآن، لكنه **تنقصه بعض المهارات والخبرات.**

ثانيا: لأنني كذلك أتمنى على الله أن تكون الصفحات التي مرت من الكتاب قد حررت البعض من أزمتهم المفاهيمية فيما يتعلق بفهم القرآن، وقد بددت الأوهام التي كانوا ينسجونها حول هذه المسألة، وقد أوقفت رحلة الهروب الكبير من الفهم التي قد شرعوا فيها. كما أتمنى على الله أن تكون الصفحات الماضية قد أسهمت في توليد دافعية قوية لفهم القرآن، وقد تسببت في استحضار نية صافية صالحة صادقة، وقد أبرزت أهمية فهم القرآن وضروريته. ولو مَنَّ الله على البعض بالتحرر من الأزمة المفاهيمية، واستشعار الدافعية القوية؛ فإنه **سيكون بحاجة ولاشك لبعض الخبرات العملية والخطوات المهارية.**

ثالثا: لأنني باختصار أريد لإخواني وأخواتي أن **يبدأوا من حيث انتهينا نحن؛** لِنُوَفِّر لهم وقتا وجهدا وفكرا ليكونوا أكثر تميزا في هذا الميدان؛ لأننا نضع بين أيديهم حصاد تجربة **عمرها يربو على عشر سنوات من التأصيل والتفعيل، والتحرير والتأطير،** ألا وهي تجربتنا في مشروع (القرآن علم وعمل) والذي يهدف إلى إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن تفهما وتدبرا واتباعا وتعليما (علما وعملا). ولن نَعْرِض هنا إلا الشق المتعلق بخطوة (الفهم) وما يتعلق بها في المشروع.

مُلَخَّص ما نحتاج إليه

فإذا استقر ما مَرَّ؛ فإنني يمكنني تلخيص ما نحتاج إليه لفهم القرآن في هذه الكلمات (تسديد النية)، (واستشعار الأهمية)، (وتحديد المنهجية)، (ومعرفة الآلية)، (والاقتداء بالنماذج الواقعية)، (والحرص على التعاهد والاستمرارية).



النية والأهمية:

ولقد سبق الحديث عن (النية)، (والأهمية)، حينما تحدثنا عن ضرورة استحضارهما واستصحابها دوما لتدوم الدافعية.

النماذج الواقعية:

إن الإنسان الذي يريد فهم القرآن، ينبغي أن يضع بين عينيه دوما ما كان عليه أنبياء الله في التعامل مع الوحي، وما كان عليه النبي ﷺ فيما يتعلق بالتعامل مع القرآن وخصوصا ما يتعلق بمسألة فهم القرآن، ويضع بين عينيه أيضا ما كان عليه الصحابة الكرام والسلف الصالحين فيما يتعلق بفهم القرآن، وقد أسلفنا فيما مضى من صفحات هذا الكتاب ما يغني عن إعادته هنا.

الاستمرارية:

وقضية التعاهد والاستمرارية، قضية في غاية الأهمية؛ لأنه ينبغي أن يعلم المسلم أن حاجته للفهم عن الله، لا ينبغي أن تفارقه إلا إذا فارق الحياة. ففهم القرآن مستويات ودوائر تتفاوت في القوة والعمق، فكلما فرغ العبد من دائرة شرع في الدائرة التي بعدها حتى يكون أكمل الناس فهما عن الله.

المنهجية:

فهم الآيات **فرض عين على كل قادر،** أما تفسيرها فهو فرض كفاية لايقوم به إلا المتخصصون من المفسرين.

وعليه يكون **التفسير هو الوسيلة** التي يستخدمها أي مسلم للفهم، فهو **لا يستقل بالفهم بنفسه بل يطالع** كتب المفسرين المعتمدين أو يراجع المتخصصين؛ ليفهم من خلال ذلك كلام الله، وإن انعقد له فهم في آية قبل المطالعة أو المراجعة، فلا يعتمده حتى يطمئن لصحة فهمه بمطالعة كتب المفسرين المعتمدين، أو مراجعة المتخصصين.

لكنَّ الفهم مستويات، وفَهم واحد من المتخصصين، لا شك يكون أعمق من فهم واحد من جماهير المسلمين.

لذا فإننا نُقَسِّم خطوة الفهم في مشروعنا إلى دوائر أو مستويات تتدرج في العمق، فنجعل الدائرة الخارجية (للمعنى الإجمالي أو الجملي) والتي تليها للداخل (للمفردات والتراكيب)، والتي تليها للداخل (للطائف والنكات)، والتي تليها للداخل (للآيات والكلمات المعاونة في السياق القرآني).

وتجدر الإشارة إلى أن ما يحتاجه الإنسان لمباشرة التدبر والاتباع، والجواز إلى المراحل التالية في تدارس الآيات، هو الدائرة الأولى (الفهم الإجمالي)، وعلى أكثر التقديرات الدائرة الثانية (المفردات والتراكيب)، لأن التدارس أولا لا بُدَّ أن يكون للتدبر والعمل كخطوات في طريق التحقق بالربانية، أما تفاصيل الفهم العميق والعالمية فتأتي بعد ذلك.

ولا ننكر أن تلك التفاصيل الدقيقة في الفهم تُجَوِّد التدبر والعمل (ولا نراها تدبرا أو عملا)، لكن ننبه أن الأنسب لجماهير المسلمين الاكتفاء بدائرة (المعنى الإجمالي) وتركيز الجهد على ما بعد الفهم الصحيح من التدبر والعمل، كما نحذر المتخصصين من الاكتفاء بها والوقوف عندها.



تفاصيل الآلية (الطريقة والخطوات العملية)

أولا: التلاوة:

وينبغي أن تكون **بترتيل وتمهل وخشوع وتحسين للصوت** كما جاء في السُّنَّة، والأفضل أن تكون القراءة **جهرا**.

لا نريد قراءة للقراءة؛ وإنما نريد قراءة للاتباع؛ نريد تلقيا للآيات بنفسية مَن يتلقى للتنفيذ والاتباع؛ وليس لمجرد الاطلاع والاستمتاع؛ فلا تنتهي العلاقة بالآيات بمجرد قراءتها؛ ولكن حين تصبح واقعا عمليا في حياتنا.

ولا نريد تلك التلاوة الطقوسية؛ بل نريد تلاوة تتجلى فيها العبودية؛ فنكون ونحن نتلو كأنما نطرق باب القلب؛ لتنكسر الأقفال التي تحول بين القلب وبين مباشرة معاني القرآن له.

وهنا نوصي بالإكثار والتكرار مع التفهم؛ قال البقاعي: "والإكثار في تلاوته يزيد بصيرة في أمره، ويفتح كنوز الدقائق من علمه، وهو أكرم من أن ينيل قارئه فائده، وأجلّ من أن يعطي قياد فوائده، ويرفع الحجاب عن جواهره وفرائده في أول مرة، بل **كلما ردده القارئ بالتدبر حباه بكنز من أسراره،** ومهما زاد زاده من لوامع أنواره، إلى أن يقطع بأن عجائبه لا تعد، وغرائبه لا تحد"[1] ويقول البيضاوي: "فإن القارئ المتأمل قد **ينكشف له** بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه"[2]

وقد كان أول ما أوصى الله به النبي ﷺ إبَّان قيامه بوظيفة التعليم القرآن تلاوة الآيات تلاوة تذكير؛ **{يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ}**.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٤٤٧)

[2] أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٩٦)

وَتِلَاوَتُهَا: ذِكْرُهَا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ **لِتَرْسَخَ فِي النَّفْسِ وَتُؤَثِّرَ فِي الْقَلْبِ**[1]. (وهي) عِبَارَةٌ عَنْ تِلَاوَةِ مَا فِيهِ **بَيَانُهَا وَتَوْجِيهِ النُّفُوسِ إِلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا وَالِاعْتِبَارِ بِهَا**[2]، فهو يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِمْ **قِرَاءَةَ تَذْكِيرٍ**[3].

وقد كان من **سنته ﷺ العملية** ترديد الآية؛ كما جاء في ترديده لآية: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: ١١٨]

كما يجوز ترديد السورة أيضا؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ **يُرَدِّدُهَا**، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»[4]. وفي رواية: أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ: أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْرَأُ مِنَ السَّحَرِ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ **لاَ يَزِيدُ عَلَيْهَا**، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ[5].

ثانيا: الاستماع والإنصات:

لانريد سماعا وإنما نريد استماعا؛ لأن الاستماع أكمل من السماع؛ لأنه افتعال فيه قصد وإنصات. **ولا نريد سماع الجارحة،** وإنما نريد سماع القلب، نريد سماعا بنفسية التلقي للتنفيذ، بنفسية المحب لربه الذي يريد أن يعرف ما يوصيه به ليمتثله.

لذا كانت وصية الله لنا: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ **فَاسْتَمِعُوا** لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ **تُرْحَمُونَ**} [الأعراف: ٢٠٤].

---

[1] تفسير المنار (١/ ٣٨٨)

[2] تفسير المنار (٤/ ١٨٢)

[3] التحرير والتنوير (١/ ٧٢٣)

[4] صحيح البخاري (٦/ ١٨٩)

[5] صحيح البخاري (٦/ ١٨٩)

فهذا وعد من الله بالرحمات، وما تتضمنه من إحسان وحنان وفتوحات، لذلك الذي يحقق (الاستماع) والإنصات.

لذلك لابأس أن تكرر السماع أكثر من مرة؛ ليقع الكلام في قلبك، وكلما زاد السماع زادت فرصة التحقق بالرحمات؛ وزادت فرصة الفتح عليك بالفهم.

واجتهد وأنت تسمع نفسك في أن تتهيىء لتخبر غيرك بمضمون هذه الآية وبمعنى ما قاله الله فيها.

ثالثا: الضبط (التجويد):

اجتهد في ضبط قراءتك لتكون كما أنزل الله، والأفضل أن يكون ذلك من خلال متخصص، وإن لم يتيسر فمن خلال متابعة القارئ والضبط بترديد قراءته كما هي.

وآثرنا تسميته الضبط؛ لِنُنَبِّه أن دور هذه الخطوة تحقيق القراءة المنضبطة التي تعين على الفهم، وما ينبغي التوقف عندها كثيرا؛ لأنها وسيلة وليست غاية.

رابعا: التهيئة والتجهيز (الاستثارة الذهنية للدراية):

حاول أن تفكر أولا في معنى الآية كنوع من استثارة الذهن وتهيئته للتلقي؛ وقُل لنفسك لو أن واحدا من الذين لا يحسنون القراءة سألني: ماذا يقول الله لنا في هذه الآية؟، قُلْ لنفسك: كيف ستكون إجابتي حينها؟ ماذا سأقول له؟

مع مراعاة أنه لايريدك أن تخبره بما ينبغي عليه فعله، وإنما يريد منك أن تخبره بمعنى ما قاله الله، وهو سيحدد ما ينبغي عليه فعله. وتَذَّكر أنك تخاطب رجلا بسيطا؛ يحتاج لعبارة سهلة واضحة؛ ويضيق كثيرا بالتطويل والتفصيل.

اكتب في ورقة خارجية ما ستقوله لذلك الرجل؛ لتتمكن من العودة إليه لتقويمه وتسديده بعد ذلك.

🕮 خامسا: التنفيذ (مطالعة التفسير "تسديد الدراية"):

طالع كتب المفسرين[1]، واقرأ بتركيز شديد، ثم **قُم بتسديد ما كتبته أو فهمته سابقا**، فإن كان كله صحيحا فاحمد الله على نعمته، وإن كان هناك شيء ناقص فانتبه له جيدا، وإن كان هناك شيء خطأ فاحمد الله على أنك عرفت الصواب.

ونؤكد على أنه **لابد من مطالعة كلام المفسرين أو الرجوع لمن له دراية بالتفسير؛ وإلا يأثم** الواحد منا بأن يفهم القرآن من عند نفسه وبرأيه الشخصي؛ لأن **هناك الكثير من كلمات القرآن التي سنظن أننا نعرف معناها وهي ليست كذلك.**

---

[1] **ونصح في البداية** (**بالتفسير الميسر** لمجمع الملك فهد)، وهو تفسير إجمالي متميز لمعاني الآيات بعبارة سهلة ومحكمة ومختصر على هامش المصحف، الآية التي جاءت في سطر، لايكاد تفسيرها يتجاوز سطرا. وهو متوفر ضمن **برنامج إلكتروني** رائع للهواتف وأجهزة الكمبيوتر ننصح به أيضا، اسمه **(آيات)**. ومطالعته لن تستهلك وقتا طويلا ففي تجربة أجريناها وجدنا أن **(ختمة الفهم)** من (الميسر) تستغرق (من ٧٥ إلى ٩٠) ساعة تقريبا.

ومما يصلح بديلا للتفسير الميسر (والبعض يُفضِّله)، كتاب **(المختصر في التفسير)** من إنتاج مركز تفسير، وهو متوفر ضمن **برنامج إلكتروني** رائع للهواتف وأجهزة الكمبيوتر ننصح به أيضا، وهو برنامج **(آية)**.

ونوصي أيضا لمن كانت لديه قدرة أن يطالع مع أحد هذين التفسيرين الإجماليين **(تفسير السعدي)** رحمه الله، وهو **تفسير متميز للغاية**، وللسعدي فيه نفس تدبري وعملي وإيماني لا تكاد تجده في غيره على وجازته.

ومما نوصي به من التفاسير كمرحلة تالية لمن أراد التوسع قليلا: أيسر التفاسير للجزائري رحمه الله، عمدة التفسير لأحمد شاكر رحمه الله، مختصر الطبري لبشار عواد معروف.

فإذا أراد مزيدا من التوسع: محاسن التأويل للقاسمي، تفسير البغوي، فتح القدير للشوكاني، تفسير الطبري.

ومن التفاسير الرائعة لكنها لم تستوعب القرآن كله: تفسير المنار لرشيد رضا – أضواء البيان للشنقيطي.

ولا يخفى فضل تفاسير أخرى: كتفسير القرطبي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، والبسيط للواحدي، وتفسير ابن عطية، وتفسير اللباب لابن عادل.

ومن خلال تجربتي مع التفاسير أرى أنه لايكاد تفسير يغني عن الآخر؛ **وليس معنى عدم ذكري لتفاسير أخرى** كالكشاف أو مفاتيح الغيب أو الكشف والبيان أو غيرها أن تلك التفاسير غير نافعة، إنما **كان تركيزي على ذكر الأنسب للقارىء الغير متخصص**، وهذا رأيي الشخصي الذي قد يخالفني فيه غيري، والأمر واسعٌ إن شاء الله.

فكلمة (جَابُوا) في قوله تعالى: {وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} [الفجر: ٩]، يعتقد الواحد منا طبقا لما اشتهر عرفا أن معنى (جَابُوا) أحضروا الشيء أو أتوا به؛ رغم أن معناها هنا (قَطَّعوا).

لكن لماذا لم نبدأ بمطالعة التفسير؟

١. لأن الإنسان إذا استثير ذهنه، يكون **أكثر استعدادا لتلقي المعلومة، وانتباها لها،** وهذا أمر جاءت به الشريعة كثيرا، فقد استخدم **القرآن** هذا الأسلوب، واستخدمه **النبي** ﷺ كثيرا في التعليم. علاوة على أن **المختصين يؤكدون** على أهمية هذا الأسلوب في التعليم، ولولا ضيق المقام لَفَصّلنا ذلك تفصيلا، وأَصَّلناه تأصيلا (انظر كتابنا: دليل التدارس الشخصي لمشروع القرآن علم وعمل).

٢. لأن **مساحة الانتفاع بالمعلومة تزداد كثيرا** مع هذا الأسلوب، فالقارئ أو السامع إما أن يكون يعرف المعلومة معرفة كاملة، أو ينقصه شيء، أو لا يعرف أصلا، أو لديه معرفة لكن غير صحيحة.

- **فمَن كانت لديه معرفة كاملة** ستكون تلك الأسئلة وسيلة لتعاهد المعلومات لديه وتنشيطها والتأكد منها.
- **ومَن كان لديه شيء ناقص،** فسيساعده ذلك الأسلوب على الانتباه لذلك الشيء الناقص وإكماله.
- **ومَن كان لا يعرف أصلا،** فسيكون أكثر تشوقا لأن يعرف لاسيما وقد أوقفه ذلك الأسلوب على عدم معرفته بالشيء مما زاد حماسته للتعرف عليه.
- **أما مَن كان يظن أنه يعرف الصواب رغم أنه ليس كذلك،** فسيساعده ذلك الأسلوب على التعرف على خطئه والانتباه إليه.

٣. فتاوى العلماء الذين أجازوا ذلك:

قال الشيخ العثيمين رحمه الله عن طريقة دراسة التفسير: "**تفكر أنت أولاً في معنى الآية، قبل أن تراجع الكتب، فإذا تقرر عندك شيء فارجع إلى الكتب، وذلك لأجل أن تمرن نفسك** على معرفة معاني كتاب الله بنفسك، ثم إن الإنسان قد يفتح الله عليه من المعاني ما لا يجده في كتب التفسير، خصوصاً إذا ترعرع في العلم وبلغ مرتبة فيه فإنه قد يفتح له من خزائن هذا القرآن الكريم ما لم يجده في غيره"[1]

ولكيلا يشغب البعض على ذلك بأن الشيخ يريد طلاب العلم فقط؛ فإن **واقعه العملي في دروسه العامة** أن كان يسأل قبل أن يتكلم هو ويسدد السامعين، وهاهي ذي فتوى تخص طلاب المدارس (وهم ولاشك ليسوا طلاب علم).

يقول الشيخ رحمه الله: "إذا كان طالب علم وتكلم بمعنى الآية **عند من هو أعلم منه على أساس أنه سيرشده إذا أخطأ فلا بأس** ومن ذلك ما يلقى في الاختبارات مثل فسر الآية كذا وكذا ويكون الطالب ليس عنده في تلك الساعة استحضار لمعناها فهل يفسرها بما عنده نقول **نعم لأن هذا يختبر وإذا أخطأ فعنده من سينبهه**"[2]

فقد جعل الشيخ رحمه الله الضابط في الجواز أن **الشخص سيراجع من ينبهه لخطئه**، وكذلك ما يجري في الحلقات أو ما يفعله المرء نفسه حين يراجع التفسير ليسدد فهمه.

---

[1] لقاء الباب المفتوح (٨٦/ ٢٦)

[2] شرح رياض الصالحين (٤/ ٦٤١)

ولقد سألت بنفسي الشيخ **(المنجد)** حفظه الله في مجلس خاص عن ذلك، فقال: **"لا أرى به بأسا"،** فقلتُ له: سأنقل ذلك عنكم شيخنا، فقال: انقله.

٤. **التجربة الواقعية لنا في هذا الباب،** أفرزت شكوى سمعناها كثيرا مفادها أن القارئ أو السامع إما أن ينسى المعلومات بسرعة كبيرة، أو يكتشف بعد وقت أنه لم ينتبه لجزء منها، أو يكتشف أنه قد فهم بعض المعلومات بصورة خاطئة. **وإنما كان معظم ذلك لأنه** لما كان يقرأ أو يسمع كان يتوهم أنه يعرف هذه المعلومات، **فيمر سريعا** ولا يتأكد من ذلك، فلن يتمكن حينها من التعرف على مواطن القصور أو الخطأ.

لكن لما جَرَّبْنا تلك الطريقة كان الأمر أفضل كثيرا بفضل الله؛ فإن الشخص حينما يطرح على نفسه التساؤلات ويفكر، فإنه يختبر ما لديه، ويفتش عما هو عنده، فإذا طالع الصواب تنبه للقصور وتقرر لديه الصواب.

وخروجا من الخلاف والجدل، فإنني أقول: مَن وجد في نفسه حرجا في أن يسأل نفسه عن معنى الآية ثم يطالع كتب التفسير، **فَليس الأمر بمُلزِمٍ له، وهو أمر واسعٌ إن شاء الله، وهو من باب الوسائل،** التي راعينا فيها الضوابط الشرعية والحمد لله، واستندنا على أدلة وفتاوى مرعية.

لكن الغاية (حصول الفهم)، فإن كان الفهم الجيد ينعقد بمطالعة كتب التفسير أو سماع التفسير أولا، فلا بأس، **المهم أن يكون ما فهمه المرء واستقر عليه هو ما قاله المفسرون لا رأيه الشخصي أو تصوراته الذاتية.** لكنني أوصي للتأكد من الفهم واختباره بأن يجري المتفهم تلك الاستثارة الذهنية **بعد مطالعة التفسير على الأقل؛** ليتفقد فهمه من خلال تخيله لكونه يشرح هذه الآية ببساطة لغيره.

***ترتيب الأولويات:**

وفي رأيي أن الانتهاء من ختمة كاملة للقرآن بطريقة الفهم الإجمالي هذه أولا، أولى وأفضل من أن يتعمق في التفسير المتعلق بآية أو سورة واحدة؛ لأنه **مطالب بفهم القرآن كله إجمالا طالما أن لديه القدرة،** وذلك سيجود ولا شك تلاوته واستماعه وحفظه للقرآن وعمله به. ثم لابأس أن يعود بعد ذلك فيزيد فهمه عمقا وأَلَقَا بمزيد المطالعة والمدارسة.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا ينبغي الغوص في لطائف التفاسير، والتوسع في الأقوال، **فالمراد تسديد الفهم وإدراك المعنى الإجمالي الصحيح** المطلوب لتحصيل الفهم السديد؛ فلسنا في هذا المقام مفسرين إنما متفهمين.

وأرى أيضا أن **الأولى أن يبدأ الإنسان بفهم السور والآيات التي يستخدمها في العبادات والأذكار الموظفة كثيرا؛** لأنها أولى بالعناية، ثم يشرع في المفصل ثم بقية القرآن بعد ذلك. ومن السور والآيات التي يكثر ترددها في الأوراد اليومية أو الأسبوعية، ووردت لها فضائل مخصوصة (الفاتحة – الإخلاص – المعوذتين – الكافرون – العصر – النصر –– الزلزلة - الأعلى – الغاشية – الإنسان – الملك – الواقعة – ق – القمر - السجدة – الكهف – خواتيم البقرة – آية الكرسي).

وتلك الآيات والسور ما شرع تكرارها إلا لأنها **تحتوي على معاني هي الأهم ويحتاج الإنسان إلى دوام تذكير نفسه بها لأثرها البالغ في علاج مشكلتي الغفلة والنسيان** اللتين ابتُلي بهما الإنسان واللتين تنعكسان على استقامته. قال الله: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه: ١١٥]؛ لذا فإن تلك الآيات والسور شُرِعَت كأذكار **ليحصل بها التذكر والتأثر.**

سادسا: التعزيز (التمهيد للرعاية):

ومما يزيد خطوة الفهم أو الدراية هذه قوة وثباتا، ويُمَهِّد أيضا لخطوة الرعاية التالية، أن يجتهد الإنسان في **استخراج الوصية العملية** التي توصي بها الآية التي فهمها. ويساعده على ذلك إجابة مجموعة من الأسئلة:

- ما هو **أبرز ما ينبغي عليّ فعله** بعدما فهمت الآية؟
- **لماذا قال لي الله** ما قاله في هذه الآية؟
- ما هي **المشكلة التي تعالجها** هذه الآية؟
- ما هي **الكلمة أو الكلمات المحورية أو المفتاحية** في هذه الآية؟

وينبغي الانتباه أن **التوجيه المباشر** في القرآن (افعل ولا تفعل) أقل بكثير من **التوجيه غير المباشر؛ فكل آية قرآنية هي عبارة عن وصية عملية**، لكن لا يشترط أن تكون الوصية دائما (افعل أو لا تفعل) مثل (أقيموا الصلاة)، (لاتقربوا). لأن القصص مثلا كأسلوب من أساليب التوجيه غير المباشر التي جاء بها القرآن تصل مساحتها لحوالي ثلث القرآن، بالإضافة إلى غيرها من الأساليب والتي تربو على عشرين أسلوب.

فإذا تقرر ما سبق، فإنه من الضروري استشعار أنك المخاطب بالآيات وتلقيها بهذه النفسية، قال ابن القيم: "ولكن أكثر الناس **لا يشعرون بدخول الواقع تحته - أي القرآن - وتضَمُّنِه له، ويظنونه في نوعٍ وفي قومٍ قد خَلَوا من قبلُ ولم يُعَقِّبوا وارثاً،** وهذا هو **الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن**"[١].

---

[١] مدارج السالكين (١/ ٣٤٣).

وقد ذكر رحمه الله آيات من سورة المؤمنون تبدأ بقوله تعالى: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا} [المؤمنون: ٦٣]، ثم قال: "وَالنَّاصِحُ لِنَفْسِهِ. الْعَامِلُ عَلَى نَجَاتِهَا: يَتَدَبَّرُ هَذِهِ الْآيَاتِ حَقَّ تَدَبُّرِهَا. وَيَتَأَمَّلُهَا حَقَّ تَأَمُّلِهَا. **وَيُنْزِلُهَا عَلَى الْوَاقِعِ**: فَيَرَى الْعَجَبَ. **وَلَا يَظُنُّهَا اخْتَصَّتْ بِقَوْمٍ كَانُوا فَبَانُوا. فَالْحَدِيثُ لَكِ. وَاسْمَعِي يَا جَارَةُ**"[1]



[1] مدارج السالكين (٢/ ٣٦٧)



قبل الرحيل

أخي الغالي! أختي الغالية! يسعدني أن أقول لكم في نهاية هذه الرحلة: أهلاً بكم في عَالَمي، بل: أهلا بكم في **عَالَمكم الذي ينبغي أن تكونوا فيه**.

إن **عَالَمي وعَالَمكم واحد،** [إنه عَالَمُ القرآن الكريم]، لكننا للأسف كُنَّا نعيش في عَالَمَين مختلفين حقيقةً، قد كان بعضنا يعيش في **عَالَمَ المباني،** وكان البعض الآخر يعيش في **عَالَمَ المعاني**.

لكن عَالَمَ القرآن الذي كان ينبغي أن نعيش فيه هو **[عَالَمَ المعاني والمباني]**؛ ولأن بعضكم كان يعيش في عَالَمَ المباني، فاسمحوا لي أن أُرَّحِب بهم في عَالَمَ المعاني.

أهلا بكم في عَالَمَ **المعاني،** أهلا بكم في كوكب **أهل القرآن والإيمان والإحسان،** أهلا بكم في **بساتين الهدى والسعادة، والتميز والريادة،** هنيئا لكم بعَالَمكم الجديد، استمتعوا بهذا الكوكب الجديد، وتنقلوا بين هذه البساتين الماتعة.

لا تتخيلون حجم سعادتي بمجرد أن **ينوي الواحد منكم** بعد هذا الكتاب، أن يتحرر من الأوهام التي كانت تحول بينه وبين الفهم، وأن يتوقف فورا عن الهروب من الفهم، وأن يشرع فورا في (ختمة فهم) لكتاب الله.

دعوني أُلَخِّص لكم ما أردته في هذا الكتاب، أردتُ: أن تفهموا رسالات الله التي أرسلها إليكم في القرآن، وأن تُفْسِحوا المجال لمعاني القرآن لتباشر قلوبكم، **وأن تجعلوا لذلك الأولوية**.

أردتُ: أن **يختفي من قاموسكم** المفاهيمي والسلوكي، أنه لا بأس أن نقرأ ولا نفهم، ولا مشكلة أن نسمع ولا نعي، ولاضير أن نحفظ ما لا نفهمه.

فَمِن الآن أعلنوها للعالم كله، سنفهم ما نقرؤه، وسنعي ما نسمعه، وسنفهم قبل أن نحفظ؛ فلن تكون قراءتنا لمجرد القراءة، ولن يكون سماعنا لمجرد السماع، ولن نحفظ شيئا لا نفهمه.

فأسألُ الله أن يكتب لي أجر ما نويت، وأن يُبَلِّغَنِي ما أردت، وأن يبلغني بنيتي وأملي، ما قَصُر عن الوصول إليه جهدي وعملي.

قال ابن القيم: "فما أشدها من حسرة! وأعظمها من غَبْنَة! على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا **وما فَهِم** حقائق القرآن، **ولا بَاشَر قَلْبُه أسراره ومعانيه**"[1]. فكيف بحسرة مَن لم يطلب علما، ولم يباشر قلبه معاني القرآن؟!!

ولا تحسب أن قرارك بالعناية بتفهم المعاني هو نهاية طريق العناية بالقرآن أو حتى بالمعاني، وإنما (التفهم) هو **بداية الطريق** وسُلَّم الوصول إلى الوصول إلى العناية الكاملة بالقرآن؛ لتكون من أهله من الدرجة الأولى (الربانيين أو خيركم).

فلا تتوقف عند خطوة الفهم؛ لأن الطريق قد أصبح ممهدا أمامك الآن لتكمل منظومة العناية بالمعاني، فانتقل بعد الفهم سريعا إلى بستان **(التدبر)**، ثم إلى بستان **(الاتباع)**، ثم اشرع في **العناية بالمباني** (ضبطا واستظهارا)، ثم اشرع في الترقي إلى أعلى الدرجات وادخل بستان **الربانيين** (العالمين العاملين المعلمين)[2].

سواءً انتفعت بالكتاب أم لم تنتفع، **فلا تحرم نفسك من أن تكون سببا في أن يصل هذا الخير لغيرك**؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع.

---

[1] بدائع الفوائد (١/ ١٩٤)

[2] ونوصيك بإكمال المسيرة وتدعيمها بمتابعة مشروعنا **(القرآن علم وعمل)**، والذي يهدف إلى **إحياء المنهج النبوي المتكامل في التعامل مع القرآن** تفهما وتدبرا وعملا وتعليما، تأصيلا وتفعيلا.

ولعل الله ينفع به غيرك فيكون **بداية عهد جديد في التعامل مع كتاب الله**، بل في التنعم بدنياه وأخراه.

ولقد كَلَّفَك الله **بحمل أمانة معاني القرآن** حين ذم لك اليهود الذين حملوا الأمانة كما أرادوا لا كما أمرهم الله، وكَلَّفَك ربك أيضا بأن **يكون لك دور في تبليغ رسالاته إلى خلقه** ولو بالنشر والتوزيع؛ فقال تعالى: {الَّذِينَ **يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ** وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب: ٣٩].

واعلم أنه لن يجيرك من الله أحد، ولن تجد مَن تميل إليه ليدفع عنك عقابه بسبب تفريطك في حق تبليغ كتابه؛ فها هو ذا رسول الله ﷺ يقول: {إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) **إِلَّا بَلَاغًا** مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن: ٢٢، ٢٣]

ولا تقل: "هذا الرسول وهو مُكَلَّف بالبلاغ، أما أنا فَلَستُ مُكَلَّفا". فأين أنت حبيبي من قول رسول الله ﷺ: «**بَلِّغُوا** عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[١]؟

فهذا هو **النصاب** الذي بعده **لا يبقى لأحدٍ عذر في ترك** تبليغ الرسالات القرآنية، **فَكَمْ آية** تعرف معناها، وتعرف مبناها؟

ولقد قمنا بتدشين **(الحملة القومية لمكافحة الهروب من الفهم)** والحمد لله، فَبَادِر **بالانضمام** إليها؛ **وَلْيَكُن أول ما تفعله** أن تكافح أنت أولا (الهروب من الفهم) في نفسك وأن تتخلص منه، **وأن تساهم في نشر هذا الكتاب** لمساعدة غيرك على أن يكافح (الهروب من الفهم) في نفسه وفي غيره.

*** ألا هل بلغت، **اللهم فاشهد** ***

[١] صحيح البخاري (٤/ ١٧٠)

الفهرس